مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

نصف ســنوية

العدد السابع والأربعون
أبريل ٢٠١٧

مجلة كلية الآداب.. مج ١، ع ١ (أكتوبر ١٩٩١م) .
بنها : كلية الآداب . جامعة بنها، ١٩٩١م
مج؛ ٢٤ سم.
مرتان سنويا (١٩٩١) وأربعة مرات سنويا (أكتوبر ٢٠١١) ومرتان سنويا (٢٠١٧)

١ . العلوم الاجتماعية . دوريات . ٢. العلوم الإنسانية . دوريات.

مجلة كلية الآداب جامعة بنها

مجلة دورية محكمة

العدد السابع والأربعون

الشهر : أبريل ٢٠١٧

عميد الكلية ورئيس التحرير : أ.د/ عبير فتح الله الرباط

نائب رئيس التحرير : أ.د/ عربى عبدالعزيز الطوخى

الإشراف العام : أ.د/ عبدالقادر البحراوى

المدير التنفيذى : د/ أيمن القرنفيلى

مديرا التحرير : د/ عادل نبيل الشحات

: د/ محسن عابد محمد السعدنى

سكرتير التحرير : أ/ إسماعيل عبد اللاه

رقم الإيداع ٦٣٦١ : ٦٣٦٣ لسنة ١٩٩١

ISSN: 1687-2525

المجلة مكشفة من خلال اتحاد المكتبات الجامعية المصرية

ومكشفة ومتاحة على قواعد بيانات دار المنظومة على الرابط:

http://www.mandumah.com

ومكشفة ومتاحة على بنك المعرفة على الرابط:

http://jfab.journals.ekb.eg

هيئة تحرير المجلة

أ.د/عبير فتح الله الرباط	عميد الكلية ورئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
أ.د/عربى عبدالعزيز الطوخى	نائب رئيس التحرير
أ.د/عبدالقادر البحراوى	الإشراف العام
د/أيمن القرنفيلى	المدير التنفيذى
د/عادل نبيل	مدير تحرير المجلة
د/محسن عابد السعدنى	مدير تحرير المجلة
أ/إسماعيل عبد اللاه	سكرتير التحرير

الدعاية السياسية ونجاح الحزب الزبيري

(٦١هـ/ ٦٨٠م : ٧٣هـ/ ٦٩٢م)

د/ أميمة أحمد السيد

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي

كلية الآداب – جامعة سوهاج

مقدمة:

يذهب بعض المؤرخين إلى أن الحزب الزبيري عرف انطلاقته الفعلية عام ٦٣هـ/ ٦٨٢م، عندما دعا عبد الله بن الزبير لنفسه، في حين يرى آخرون أنه انطلق قبل ذلك، عقب إعلان الثورة ضد عثمان بن عفان، واتخذ من إقليم الحجاز مركزًا لنشاطه، ومن مكة عاصمة لحكمه. وقد تعصب لابن الزبير كثيرون، ورأوه أهلاً لقيادة المسلمين، خاصةً أنه كان شجاعًا وتقيًا ورعًا، حيث يرون أنه لم يكن من بين العرب المتطلعين إلى الخلافة في القرن الأول الهجري باستثناء علي بن أبي طالب رجل اجتمعت له المؤهلات لمنصب الخلافة سوى عبد الله بن الزبير بعد أبي بكر وعمر وعثمان.

كان عُمر الحزب الزبيري قصيرًا جدًا إذا ما قارناه بالأحزاب الأخرى، ويرجع ذلك إلى أن هذا الحزب لم يكن له من القوة ما يلزم مواجهة الأحزاب الأخرى؛ لذا تطلع زعيم الحزب الزبيري عبد الله بن الزبير إلى مقومات نجاح تساعده في إنجاح حزبه ومواجهة أعدائه، فكانت الدعاية السياسية وسيلته في التعبير عن مبادئه السياسية، واعتمد في الدعاية لحزبه على الخطابة والشعر، وسك العملة، إلا أن أهم وسيلة استخدمها عبد الله بن الزبير هي تمركزه في مكة، وسيطرته على بيت الله الحرام، وتسميته نفسه "العائذ بالبيت".

ورغم أن هذه الوسائل ساعدت ابن الزبير في نجاح حزبه في مدة وجيزة جدًا يقدرها المؤرخون بعشر سنوات، إلا أن هذا الحزب كان يواجه خصومًا عديدين، ولم تكن له من القوة ما يلزمه لمواجهتهم؛ لذا كان طبيعيًا أن يهزموه، ولهذه الهزيمة بُعد سياسي آخر؛ إذ لم تكن هزيمة شخص أو حزب، ولكنها كانت هزيمة إقليم الحجاز الذي حمل لواء نجاح الحزب الزبيري، فسقط بسقوط الحزب الزبيري.

وترجع أسباب هزيمة الحزب الزبيري إلى أنه ترك أمر الدعاية السياسية له إلى أنصاره بالشام والعراق ومصر، إلى جانب قتال الشيعة والخوارج والأمويين لابن الزبير، أما أعداؤه – خاصة الأمويين– فقد استخدموا كل مقومات الدعاية السياسية، وكانت سببًا في نجاحهم في النهاية بالقضاء على ابن الزبير وحزبه.

ولم يهدف هذا البحث إدانة ابن الزبير أو نقده أو تبرير أعماله، وإنما هدفه الرئيس هو إلقاء الضوء على مقومات نجاح الحزب الزبيري في مدة وجيزة، والتي تمثلت في الدعاية السياسية، ومساعدة هذه الدعاية في نجاح الحزب الزبيري، والوصول بعبد الله بن الزبير إلى تولي خلافة المسلمين.

ويرتكز البحث على تمهيد وثلاثة محاور:

المحور الأول: الجذور التاريخية للدعاية السياسية:

- مفهوم الدعاية السياسية.
- مفهوم الحزب السياسي.

المحور الثاني: الحزب الزبيري:

- تأسيس الحزب الزبيري.
- مراحل الظهور السياسي لعبد الله بن الزبير.
- المواجهات السياسية للحزب الزبيري.

المحور الثالث: وسائل الدعاية السياسية للحزب الزبيري:

- الخطابة.
- الشعر.
- المساجد والرموز.
- السكة.

تمهيد:

تمثلت المشكلة السياسية في الدولة العربية الإسلامية في الصراع على منصب الخلافة بين بني هاشم وبني أمية، وانتهى الأمر باستيلاء معاوية بن أبي سفيان على منصب الخلافة.

بتولي معاوية بن أبي سفيان منصب الخلافة (٤١هـ/ ٦٦١م) جعله وراثيًا من بعده، وعلى إثر هذا انقسم المسلمون إلى أحزاب تتصارع حول منصب الخلافة. وهل هي حق مقتصر على بني أمية وحدهم، أم حق لبني هاشم وبني علي خاصة، أم هي حق شائع للمسلمين جميعًا[١].

ولما كانت الخلافة نيابةً عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به[٢]، اجتمعت بهذا السلطتان الدينية والدنيوية في يد واحدة، وأصبح لكل مشكلة سياسية وجهان ديني ودنيوي. وظهرت الأحزاب السياسية، وأصبح لكل حزب منهم نظريته السياسية وأصوله الفكرية ذات الطابع الديني؛ لذلك كان طبيعيًا أن تصطبغ الأحزاب السياسية بالصبغة الدينية.

وقد تعددت الأحزاب السياسية في العصر الأموي، منها الحزب الموالي للأمويين، والحزب الزبيري، والحزب الشيعي، وحزب الخوارج، وحزب الموالي. وهذه الأحزاب هي التي أدارت دفة الصراع السياسي خلال العصر الأموي بالكلمة أولاً ثم بالسيف حينما تفشل الكلمة في تثبيت آرائها وتدعيم سلطانها، فكان وسيلتها الدعاية السياسية.

لم تُعرف الدعاية السياسية كأسلوب من أساليب مواجهة السلطة إلا في أواخر عصر صدر الإسلام عندما تولى عثمان بن عفان الخلافة، وذلك بعد أن وجد المسلمون فرقًا كبيرًا بين الحياة المثالية التي نعموا بها في العهد الأول للإسلام، وبين الواقع الذي أصبحوا يعيشون فيه؛ لذلك أعلنوا التذمر، وسخط كثير من الناس على حكم عثمان بن عفان، وكان من أثر ذلك أن دبت الفتنة في الدولة الإسلامية[٣].

أدت هذه الظروف بالمعارضة إلى قيام الثورات، واحتاج الخليفة إلى الدعاية؛ لتبرير مواقفه التي سخط عليها الثوار بسببها، واستخدم الثوار أيضًا الدعاية لنشر أسباب ثورتهم على عثمان بن عفان في مصر والعراق والشام [٤].

نشأت الدعاية السياسية على اختلاف الوقائع وتشويه الحقائق، وأخذت تقارن بين سياسة الخلفاء أبي بكر وعمر بن الخطاب في أتباع سياسة الرسول ((ص)) وبين سياسة عثمان بن عفان والتي كانت الظروف المستجدة للدولة الإسلامية سببًا فيها. وقد اعتقد عثمان بن عفان أن استخدام هذه السياسة في مصلحة المسلمين، ولكن المشكلة تحولت إلى خلاف حول منصب الخلافة، ومَنْ أحق به والقادر على رعاية مصلحة المسلمين [٥].

استغل عبد الله بن سبأ [٦] هذه الظروف السياسية، وأخذ يوجه الدعاية السياسية ويستغلها في إذكاء هذا الصراع، وتوجيه المعارضة والدعاية نحو بذر الفتنة، وظل يدفعها حتى اشتعلت الفتنة.

وقد استخدم عبد الله بن سبأ لتنفيذ سياسته فرصة ما استنكره المسلمين على عثمان بن عفان، وأخذ يتنقل في الأمصار الإسلامية يؤجج نار الفتنة بها ضد عثمان بن عفان بالدعاية السياسية، ونتيجةً لهذه الدعاية المدبرة والتي خطط لها، جاءت وفود الثوار من الأمصار الإسلامية إلى المدينة في شوال سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م متظاهرة بطلب الإصلاح. وكان أشد الوفود نقمة على عثمان بن عفان وفد مصر، وعلى الرغم من محاولة عثمان احتواء الأزمة وإرضاء الثوار، إلا أن الأمور تطورت، وخرجت عن السيطرة، وحاصر الثوار عثمان بن عفان وقتلوه[٧].

انتهت هذه المرحلة من تاريخ الدعاية السياسية بمقتل عثمان بن عفان، وبويع علي بن أبي طالب بالخلافة سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م[٨]، فأخذت الدعاية السبئية شكلاً آخر لتحقيق أهدافها، وهو التشيع لعلي بن أبي طالب.

بولاية علي بن أبي طالب الخلافة، انتقل زمام الدعاية السياسية إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان الشعار الذي اتخذه معاوية عنوانًا على سياسته وهاديًا له في دعايته ضد علي بن أبي طالب للوصول إلى الحق ينبغي أن نخوض كثيرًا في الباطل، ومثل هذه الكلمة لا يمكن أن تصدر عن علي بن أبي طالب؛ لأن عليًا لا يعرف غير الحق، أو ما يعتقد أنه حق، ولا يسلك طريقًا غيره (٩).

لذلك كان الإعلام وسيلة علي بن أبي طالب، أما الدعاية فكانت وسيلة معاوية بن أبي سفيان، وكان الصدق هو وسيلة الإعلام، أما الدعاية فكان طريقها أحيانًا الصدق وأحيانًا الكذب، ومن هنا نشأ ما يعرف بالدعاية السياسية التي اتخذتها الأحزاب السياسية في العصر الأموي وسيلة للوصول إلى هدفها.

الجذور التاريخية للدعاية السياسية

مفهوم الدعاية السياسية:

اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد مفهوم الدعاية، لذلك اختلفت آراؤهم واتجاهاتهم للدعاية السياسية، ووفقًا لطبيعة الظروف السياسية للعصر الذي تعكسه.

وإذا أردنا أن نعرف الدعاية، نجد "كالنز" يعرفها بأنها "المحاولة المقصودة التي يقوم بها أفراد أو جماعة من أجل تشكيل اتجاهات جماعات أخرى، أو التحكم فيها، أو تغييرها، وذلك عن طريق استخدام وسائل الاتصال، والهدف من ذلك هو أن يكون رد فعل أولئك الذي تعرضوا لتأثير الدعاية في أي موقف من المواقف هو نفسه رد فعل الذي يرغبه الدعاية" (١٠).

أما "كمبال يونج" فيرى أن الدعاية هي استخدام مقصود ومخطط للرموز عن طريق الإيحاء والرسائل النفسية المماثلة، ويرمي إلى تغيير وتيسير الآراء والأفكار والقيم والاتجاهات، ومن ثم إلى القيام بعمل في الاتجاه المدبر له، وقد تكون علنية

واضحة أو سرية مكتوبة، وتحدث ضمن إطار من البيئة الاجتماعية والثقافية التي لا تنجح بدونها (١١).

أما مفهوم الدعاية لدى المسلمين من الناحية التاريخية، فقد اشتملت على مفهومين: مفهوم ديني، وهو مرادف لكلمة الدعوة، ومفهوم سياسي، ويتضمن عملية الإقناع السياسي، ويختلف في طبيعته عن الإعلام السياسي، ويمثله النشاط الإعلامي السياسي الذي عرفه المسلمون على عهد الرسول((ص))، وفي عصر الخلافة الراشدة، والذي استهدف تشكيل الرأي العام وإقناعه سياسيًا. أما النشاط الدعائي الذي يستهدف الترويج لفكرة أو عقيدة أو مذهب، أو يدحض كل ذلك عن طريق التأثير في عواطف الفرد أو الجماعة واستهوائها بقدر المستطاع، وهو النشاط الذي عرفه المسلمون منذ أيام الفتنة على يد عبد الله بن سبأ في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويسمى هذا النشاط بالدعاية السياسية (١٢).

أما في العصر الأموي، فقد ارتبطت الدعاية السياسية بالنزاع السياسي حول السلطة، وأشرف عليه ووجه أموره الحزب الأموي الحاكم بغرض تدعيم نفوذه وسلطانه. أما أحزاب المعارضة الأخرى فكان الغرض الوصول للحكم وإقصاء الأمويين عنه. وتبلور هذا الصراع السياسي حول ما سمي بمشكلة الخلافة أو الإمامة(١٣).

وبذلك نجد أن الدعاية السياسية في العصر الأموي مرتبطة بمفهوم الخلافة أو الإمامة من حيث أنها كما يقول ابن خلدون: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ... أو أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع ((ص)) في حراسة الدين وسياسة الدنيا به" (١٤).

مفهوم الحزب السياسي:

الحزب في اللغة هو الصف من الناس، وهو كل جماعة من الناس، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم، وأيضًا هم جماعة جند الرجل، جماعته المستعدة دومًا للقتال ونحوه، وحزب الرجل، أصحابه الذين على رأيه(١٥).

ويقصد بالحزب في اللغة الإنجليزية Party وهو قسم أو جزء يحتوي على مجموعة من الناس. أما المعنى الاصطلاحي للحزب، فكان لها تعريفات كثيرة، فيعرفها هانس كلسن بأنه عبارة عن "تلك المنظمات التي تجمع بين رجال ذوي رأي واحد لتضمن لها تأثيرًا حقيقيًا وفعالاً في إدارة الشئون العامة"(١٦). أما Cdeman، فيعرف الأحزاب بأنها اتحادات أو جمعيات منظمة بصفة رسمية، ولها هدف واضح، ويعرف هارولد لازويل الحزب بأنه "المنظمة المختصة بتقديم المرشحين والقضايا السياسية تحت اسمها في الانتخابات"(١٧).

فالحزب السياسي إذن هو مجموعة منظمة من الناس ذات مبادئ ومصالح واحدة، وتسعى هذه الجماعة لتحقيق أملها في الوصول إلى السلطة والمشاركة الفعلية والحقيقية في الحكم، ومن ثم تتمكن من وضع مبادئها وأهدافها العديدة موضع التنفيذ(١٨).

وبذلك نجد أن نشأة الأحزاب السياسية في العصر الإسلامي بالمفهوم الحديث للحزب هو مسألة سياسية. إذن فالصراع بين المسلمين كان صراعًا سياسيًا حول منصب الخلافة، وحول أحقية كل طرف من أطراف هذا المنصب. ولما كانت الخلافة "نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا"(١٩)، لذلك كان طبيعيًا أن تصطبغ هذه الأحزاب السياسية بالصبغة الدينية.

وبذلك نجد أن الأحزاب السياسية قد اصطبغت بالصبغة الدينية، خاصة بعد أن اجتمعت السلطتان الدينية والدنيوية في يد الخليفة. ومن هنا أصبح لكل مشكلة وجهان، وجه ديني وآخر دينوي؛ مما أدى إلى اختلاف الناس حول هذه المشاكل،

فمنهم من يؤيد وجهة نظر معينة، وآخرون يخالفونه في الرأي، وبذلك وجدت الأحزاب السياسية في الدولة العربية الإسلامية، وأصبح لكل حزب منهم نظريته السياسية وآراؤه الفكرية ذات الطابع الديني.

الحزب الزبيري

ينسب الحزب الزبيري إلى عبد الله بن الزبير بن العوام، وقد أخذ اسم الحزب من اسم الزبير بن العوام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وحواري رسول الله ((ص))، وابن عمته، وأحد الأبطال المشاهير في الجزيرة العربية، وأول من سل سيفه في الإسلام، "قيل له مرة وقد ضرب عدوه بسيفه ضربة قسمته نصفين: ما أجود سيفك!! فغضب، وقال: ليس السيف، ولكن اليد التي ضربت به" (٢٠). وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر لما اشتد أذى قريش على المسلمين، شهد بدرًا وأحد، وشارك في معركة اليرموك، وأرسله عمر بن الخطاب على رأس حملة عسكرية لدعم اجيش عمرو بن العاص في حصار بابليون في مصر، وجعله فيمن يصلح للخلافة من بعده، فكان من الستة المرشحين للخلافة، وكان الزبير موسرًا كثير المتاجر(٢١).

عبد الله بن الزبير (نسبه – مولده – صفاته):

نسبه:

هو عبد الله بن الزبير، قرشي عريق النسب من جهة أبيه وأمه، ونشأته عالية رفيعة، فنسبه من ناحية أبيه فهو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي(٢٢). ونسبه من ناحية أمه هو عبد الله بن أسماء بنت أبي بكر الصديق، فهو من شجرة مباركة لها نسبها النبيل وشهرتها في الإسلام(٢٣).

مولده:

ولد بالمدينة بعد عشرين شهرًا من الهجرة – وقيل: في السنة الأولى– وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، وحنكه رسول الله ((ص)) بتمرة لاكها، وسماه عبد الله ، وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته [٢٤].

كان عبد الله بن الزبير آدمًا نحيفًا ليس بالطويل، معصوبًا خفيف اللحم، عارضاه خفيفان، أطلسًا خفيف اللحية، ليس في وجهه من الشعر إلا القليل، وكانت لحيته صفراء ما اكتملت حتى بلغ ستين سنة، وكان يقول: "عالجت لحيتي لتكثر فلما بلغت ستين يئست منها"، وكان له جمة مفروقة طويلة، بين عينيه أثر السجود، وكان الزبير يقول لابنه عبد الله: "أنت أشبه الناس بأبي بكر" [٢٥].

صفاته:

نشأ عبد الله بن الزبير في بيت النبوة، فحفظ عن رسول الله ((ص))، وروى عنه ثلاثة وثلاثين حديثًا[٢٦]. وكان عبد الله بن الزبير أحد الأربعة الذين كلفهم الخيفة عثمان بن عفان بنسخ القرآن، وحج بالناس من عام ٦٤ هـ حتى عام ٧٢هـ أي مدة خلافته [٢٧]. وهو أحد فرسان قريش، وقد اشتهر بالشجاعة منذ صغره، ويقول هشام بن عروة: "إن أول ما فصح به عبد الله بن الزبير وهو الصغير، السيف السيف، فكان لا يضعه من فمه، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له: أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام". "وكان النبي ((ص)) قد احتجم في طست فأعطاه عبدالله بن الزبير ليريقه فشربه، فلما رجع قال له: ما صنعت بالدم؟ قال: إني شربته لأزداد به علمًا وإيمانًا، وليكون شيء من جسد رسول الله ((ص)) في جسدي، وجسدي أولى به من الأرض، فقال: "أبشر! لا تمسك النار أبدًا، وويل لك من الناس، وويل للناس منك" [٢٨].

واشتهر عبد الله بن الزبير بالفصاحة، وقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الإسلام، فقال: معاوية وابنه وسعيد وابنه وعبد الله بن الزبير [٢٩].

وكان يعتد برأيه ولا ينقاد لرغبة أو رهبة، ويقول وهب بن كيسان في ذلك: "ما رأيت ابن الزبير يعطي رجلاً كلمة قط لرغبة ولرهبة سلطان" (٣٠).

مراحل ظهور عبد الله بن الزبير السياسي:

شارك عبد الله بن الزبير في كثير من حروب جبهات الإسلام، ففي الجبهة الغربية اشترك في الحملة التي أرسلها عثمان بن عفان إلى إفريقية عام ٢٦هـ/٦٤٦م (٣١). واشترك مع سعيد بن العاص في غزو طبرستان في الجبهة الشرقية (٣٢). واشترك في الحملة التي أرسلها معاوية بن أبي سفيان بقيادة ابنه يزيد لغزو القسطنطينية في الجبهة الشمالية (٣٣). وقد أكسبته هذه الحروب خبرة واسعة في القتال، مما جعله صاحب رأي في إدارة المعارك.

وكانت بوادر ظهوره السياسي عندما اشتدت الفتنة في عهد عثمان بن عفان، فتجمع عدد من الصحابة وأبناؤهم عند باب الخليفة للدفاع عنه ورد الثوار، وكان عبد الله بن الزبير منهم، فأمره عثمان على الدار، وقال عثمان للصحابة: "من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير"(٣٤).

بعد وفاة عثمان بن عفان انحصر أمر الخلافة بين علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وتم أمر الخلافة لعلي بن أبي طالب، إلا أن الزبير وطلحة قد بايعاه على غير رضى منهما(٣٥).

أراد طلحة والزبير أن يعوضا عن خسارتهما في الخلافة، بالابتعاد عن المدينة، فطلب الزبير من علي أن يوليه حكم الكوفة، بينما طلب طلحة أن يوليه حكم البصرة قياسًا بما كان عليه وضع معاوية بن أبي سفيان في الشام، وأملاً في استمالة الناس لهما، لكن عليًا أدرك هدفهما، فلم يسمح لهما بذلك، وادعى أنه بحاجة إلى مشورتهما في أمور الدولة(٣٦). إلا أنهما تحايلا على علي في الذهاب إلى مكة لأداء العمرة، وكان قصدهما كسب تأييد السيدة عائشة، التي كانت في مكة تؤدي فريضة الحج،

وتأثرت لما علمت بمقتل عثمان، وأقسمت لتطلبن بدمه، فانضما جميعًا مطالبين بدم عثمان، ونبذوا البيعة، وطالبوا بإعادة الأمر شورى بين المسلمين(٣٧). كان انضمام السيدة عائشة إلى طلحة والزبير له أثر كبير في انضمام كثير من الناس في الخروج على علي، وقد مهد الطريق بصورة واضحة أمام الحزب الزبيري الذي اتخذ من البصرة قاعدة له(٣٨).

انضم عبد الله بن الزبير إلى هذا التجمع الذي كان شعراه "الثأر لعثمان بن عفان"، وكان عبد الله أكثر الناس حماسًا للقتال والثأر دعمًا لوالده في نيل الخلافة، فدفع خالته عائشة دفعًا إلى الخروج لكي يستمد بمشاركتها قوة، ويروي أن عائشة قد طلبت عبد الله بن عمر بعد انتهاء القتال في موقعة الجمل، وقالت له: "ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك"(٣٩). يعني عبدالله بن الزبير.

خرج الجميع من مكة يريدون البصرة، وكانت السيدة عائشة تركب في هودج يحمله جمل يسمى عسكر، فسمى الجمع أصحاب الجمل. ويذكر أن مروان بن الحكم أذن للصلاة، وجاء حتى وقف على طلحة والزبير، فقال: علي أيكما أسلم بالإمارة ليصلي الناس؟ فقال ابن الزبير: على أبي، وقال محمد بن طلحة على أبي، إلا أن السيدة عائشة حسمت الموقف، وقالت ليصل ابن أختي بالناس، فكان يصلي بهم عبد الله حتى قدموا البصرة(٤٠). وهكذا ساعد تطور الأحداث تطور شخصية عبد الله بن الزبير السياسية، أتاحت الظروف التقدم نحو الإمارة، خاصة بعد توجيه السيدة عائشة الناس لقبول عبد الله بن الزبير، وفي هذا دلالة وإشارة من السيدة عائشة نحو عبد الله إلى إمارة الناس، وأن فيه الأمل القادم للدولة الإسلامية.

وصل أصحاب الجمل إلى البصرة فدخلوها، ولما التقت جيوش طلحة والزبير بجيش علي بن أبي طالب في مكان قرب البصرة يقال له الخريبة عام ٣٦هـ/ ٦٥٧م، خرج علي للقاء خصومه في آخر محاولة للحل السلمي، وقال للزبير: "... كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك، ابن السوء، ففرق بيننا وبينك" (٤١). فعزم الزبير

على الانسحاب من المعركة، لكن عبد الله رمى أباه بالجبن، فرد عليه الزبير قائلاً: "لا والله، لكني ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار، أبالجبن تعيرني؟"(٤٢).

غضب الزبير من كلام ابنه، فحمل بفرسه يجول بين قوات علي مظهرًا شجاعته، ثم انصرف بعد ذلك عائدًا إلى المدينة خارجًا على ما اجتمع عليه أصحابه وولده عبد الله، وعندما وصل إلى وادي السباع(٤٣)، لحق به عمرو بن جرموز وغدر به وقتله(٤٤). وبذلك نجد أنه كان لعبد الله بن الزبير دور في تأليب الجموع على علي بن أبي طالب، واستمرار معركة الجمل، والمسئول عن أول معركة حدثت بين جيشين للمسلمين، وانتهت المعركة بهزيمة أصحاب الجمل.

عاد عبد الله بن الزبير من البصرة وقد امتلأ جسمه بالجراح، وفقد والده، لكنه لم ينسَ أن والده استشهد وهو يقاتل دفاعًا عن مبدأ الشورى، وعن حقه بالخلافة، وتولدت عند عبد الله الرغبة في خوض غمار التنافس السياسي والسعي للخلافة.

بعد موقعة الجمل خاض علي بن أبي طالب مواجهة أخرى مع معاوية بن أبي سفيان، ووصل هذا الصراع أوجه في معركة صفين عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م، وانتهت المعركة بدون حل حاسم، واتفق الطرفان على اللجوء للمفاوضات والتحكيم (٤٥).

اجتمع الحكمان بدومة الجندل في عام ٣٧هـ/ ٦٥٧م، وكان من بين المدعوين عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، ولم يحسم التحكيم النزاع بين علي ومعاوية، وفتح التحكيم الترشيح لمنصب الخلافة، فرشح عبد الله بن الزبير عبد الله بن عمر، ولم يستغل عبد الله بن الزبير هذه الظروف لترشيح نفسه، خاصة وأن التحكيم قد فتح الأبواب أمامه(٤٦). وقد رفض عبد الله بن عمر النزاع في شأن الخلافة، ولعل عبد الله بن الزبير قصد من ترشيحه إشارة إلى عدم رضاه عن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وأراد أن يكسب عبد الله بن عمر في صفه حين يحتاج إلى ذلك.

قتل علي بن أبي طالب على يد الخوارج [٤٧]. في رمضان سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م التف أنصاره حول ابنه الحسن وبايعوه بالخلافة، ولكن معاوية استطاع أن يحصل على تنازل الحسن عن حقه بالخلافة، على أن يعود الأمر شورى بين المسلمين بعد وفاته، وبذلك أجمعت الأمة على بيعة معاوية بالخلافة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م فيما عدا الخوارج، واضطر عبد الله بن الزبير لمبايعة معاوية[٤٨]. وبذلك انحصر صراع عبد الله بن الزبير على السلطة مع الأموية.

بلاد الحجاز وظهور الحزب الزبيري:

بلاد الحجاز هي المركز الأول للدعوة والخلافة الإسلامية، ومنها انطلقت الجيوش للفتوحات الإسلامية، ولكن ما لبثت أن اشتعلت الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان، فتنقلت العاصمة خارج الحجاز فبخروج علي بن أبي طالب انتقلت العاصمة إلى الكوفة، ثم حكم الأمويين فنقلت إلى دمشق، مما أضعف أهمية بلاد الحجاز سياسيًا.
كانت أول أعمال معاوية بعد تسلمه الخلافة نقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق؛ حيث أتباعه ومناصروه، وكان لهذا العمل أثر كبير في نفوس أهل الحجاز، حيث زاد من معارضتهم له، ولاسيما عبد الله بن الزبير [٤٩]. فأدرك معاوية أن أخطر المعارضة تكمن في بلاد الحجاز؛ لوجود عدد كبير من الصحابة وأبناء الصحابة هناك، وفيهم من ينافسه على الخلافة بسبب أو آخر، ويذكر فلهاوزن: "أن الحجاز منذ مقتل عثمان كان قد أصبح ركنًا ميتًا" [٥٠].

لذلك اتبع معاوية سياسة تختلف عن سياسة الحكام من قبله في توليه الإمارات، حرصًا منه على مسك زمام الأمور بيده، ومراقبة معارضيه، ولتحقيق هذا الهدف قام بتولية أقاربه على المدن الحجازية، وكان غير مكتفٍ بترك أمر المعارضة لولاته، فيقوم بنفسه بمتابعة حثيثة لهم، ويقربهم إليه، ويجزل لهم في العطاء، إلا أن ابن الزبير قد لزم بيته وتوقف على ممارسة السياسة، إلا ما قل من مواقف [٥١].

بقي معاوية متخوفًا من عبد الله بن الزبير، متهيبًا من فعل قد يأتيه، وهو لا يعلم به. لذلك اتخذ معاوية من عبد الله بن الزبير مواقف متفاوتة، فتارة يود أن يكسبه إلى جانبه بالحسنى، فيغدق عليه الأموال، ويقول عندما يلقاه: "مرحبًا بابن عمة رسول الله ((ص))، وابن حواري رسول الله ((ص))، ثم يمنحه مائة ألف درهم" (٥٢). وأحيانًا يلجأ معاوية للحجة والبرهان عندما يجتمع بعبد الله بن الزبير ليظهر أفضليته بالحكم، فقال له في أحد المجالس: "تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني، فأجابه عبد الله: "لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله ((ص)) على الإيمان، واتبع الناس أباك على الكفر، فقال معاوية له: غلطت يا ابن الزبير، بعث الله ابن عمي نبيًا فدعا أباك، فأجابه، فما أنت إلا تابع لي ضالاً كنت أو مهديًا"(٥٣).

بقيت العلاقة بين معاوية وابن الزبير ودية يشوبها الترقب والحذر، حتى كانت الدعوة لبيعة يزيد بولاية العهد، فاتخذت المعارضة منها موقفًا حازمًا وعلى رأسهم بنو هاشم وعبد الله بن الزبير؛ لأنهم رأوا في ذلك خروجًا على مبادئ الإسلام تخطيًا لهم، وتقديمًا لابنه عليهم، وهو أقل منهم ورعًا وصلاحًا، وأدنى علمًا. لذلك حذر معاوية ابنه يزيد قبل وفاته من أخذ الحيطة والحذر من ثلاثة نفر، في مقدمتهم ابن الزبير، فقال ليزيد: "إني لست أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر: عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي" (٥٤). ثم بدأ معاوية بتحليل ما هم عليه وفق رؤيته لأحوالهم آنذاك فيقول: "فأما عبد الله بن عمر، فرجل وقرته العبادة، وتخلى عن الدنيا، وشغل نفسه بالقرآن، ولا أظنه يقاتل، وأما الذي يجثم جثوم الأسد، ويروغ روغان الثعلب، وإن أمكنته فرصة وثب، فابن الزبير، فإن هو فعل، واستمكنت منه، فقطعه إربًا إربًا، ألا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبله واحقن دماء قومك تُقبل قلوبهم عليك، وأما الحسين بن علي فإن له رحمًا وحقًا، وولادة من رسول الله ((ص))، ولا أظن أن أهل العراق تاركوه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه"(٥٥).

أخذ معاوية بن أبي سفيان البيعة كرهًا لابنه يزيد من زعماء المعارضة في الحجاز بما فيهم عبدالله بن الزبير. ولم يطلب ابن الزبير لنفسه البيعة في عهد يزيد، بل التزم بما قطعه على نفسه كرهًا، لكنه كان يجمع الأنصار سرًا، ولم يعلن خلافته إلا بعد وفاة يزيد بن أبي سفيان.

توفى معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م، وتولى يزيد الخلافة من بعده، ولم يكن يؤرق يزيد إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته، فكتب إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، على أخذ البيعة منهم راغبين أو كارهين، وقد رأى عبد الله بن الزبير أن يرحل إلى مكة خشية لقاء الوليد، وعاد إلى مكة، وقد سلك طريقًا غير طريق المسافرين خوفًا من لحاق رجال الوليد به، وكان معه أخوه جعفر بن الزبير(٥٦). مما أثار غضب يزيد على الوليد بن عتبة فعزله، وولى مكانه عمرو بن سعيد، وذلك سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م (٥٧).

بعد وصول عبد الله بن الزبير إلى مكة استطاع أن يكسب عطف أهل مكة وتأييدهم له، مستعطفًا إياهم بقول: "إني عائذ بالبيت"(٥٨). وأخذ يحرض الناس على بني أمية بعدم صلاته وراء ولاتهم ولم يفض بإفاضتهم(٥٩). وكان يقول: "إني في الطاعة غير أني لا أبايع أحدًا وأنا مستجير بالبيت الحرام"(٦٠).

لحق الحسين بن علي الزبير بمكة، ولما وصل مكة استقبله أهلها بحرارة بالغة، وأصبح الناس يجتمعون حوله حلقًا حلقًا، بعد أن كانوا يلتفون حول ابن الزبير، وأدرك ابن الزبير أن الناس لن يحفلوا به والحسين مقيم بمكة، ولن تكون له دعوة مع وجود الحسين، فكان يلزم جانب الكعبة يصلي عندها عامة النهار ويطوف(٦١).

جاءت الوفود من الكوفة إلى الحسين بن علي تحمل إليه الكتب من أشياعه يستحثونه ويشجعونه على الخروج إلى العراق ليبايعوه، هربًا من بيعة يزيد بن معاوية، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل يستطلع الأمر في العراق. فأرسل إليه يشجعه على الخروج من مكة، فلما استلم الحسين دعوة ابن عقيل، وعزم على الخروج من

مكة أتاه ابن الزبير وقال له: "لو أقمت بهذا الحرم وبعثت رسلك في البلدان، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك، فإذا قوي أمرك، نفيت أعمال يزيد عن هذا البلد، وعلي لك المكاتفة والمؤازرة"، فقال له الحسين: "إن أبي حدثني أن لها كبشًا به تستحل حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش" (٦٢).

لم يلتفت الحسين لنصيحة أحد، وسار إلى الكوفة، معه فئة قليلة من أنصاره وآل بيته، فلما أصبح على مشارف الكوفة، خرج اليه جند عبيد الله بن زياد، فعدل إلى كربلاء، وهناك جرى قتال عنيف ومجزرة رهيبة ذهب ضحيتها الحسين بن علي ومن معه، وذلك في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م (٦٣).

كان خروج الحسين بن علي ثورة على النظام الذي وضعه معاوية بن أبي سفيان بتوريث ابنه يزيد وأهدر به قاعدة الشورى، فأراد بخروجه أن يرد الأمور إلى نصابها وأن يعيد الشورى كما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين.

عبد الله بن الزبير والدعوة لنفسه:

أخذ عبد الله بن الزبير يدعو لنفسه سرًا ويجمع حوله الأنصار بعد أن غادر الحسين بن علي مكة، فكان يتقصى أخبار الحسين في الكوفة، حتى وصله نبأ استشهاده في كربلاء، فحزن عليه، وقام خطيبًا في أهل مكة، متحاملاً في خطابه على أهل الكوفة، ومشيرًا للناس على يزيد من طرف خفي، فعدد مناقب الحسين بالتصريح، ومثالب يزيد بتلميح قائلاً: ".... أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد، فسوف يلقون غيًا" (٦٤).

أثار ابن الزبير بكلامه أهل مكة، وظن بمدحه الحسين أن يكسب تأييد الشيعة، فاجتمع اليه أصحابه، وقالوا: "أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد إذ هلك الحسين ينازعك هذا الأمر"، فقال لهم: "لا تعجلوا"(٦٥). وكان عمرو بن سعيد بن

العاص عامل مكة أشد شيء عليه وعلى أصحابه، يرصد حركاتهم، ويتقصى أخبارهم.

كان موت الحسين بن علي ورفض عبد الله بن الزبير خلافة يزيد وتحصنه ببيت الله بمكة ودعائه لنفسه، كان هذا إعلانًا رسميًا للحزب الزبيري.

ويبني الحزب الزبيري نظريته السياسية على أساس أن الخلافة ينبغي أن تكون في قريش، وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين، يختاره المسلمون بالشورى، كما كان الأمر على عهد الخلفاء الراشدين، وأن تكون حاضرة الخلافة في الحجاز، مسايرة لعهد الخلفاء الراشدين؛ لذلك اعتصم بمكة وسمي نفسه العائذ بالبيت [٦٦]. وابتدأ عبد الله بن الزبير وأنصاره يظهرون نواياهم في مسألة الخلافة، فكان عليهم مواجهة السلطة الحاكمة.

مواجهة الحزب الزبيري للسلطة الحاكمة:

لما وصل نبأ ابن الزبير وأصحابه إلى يزيد، بعث رجلاً في عشرة نفر من حرسه، وقال: "انطلق فانظر ما عنده، فإن كان في الطاعة، فخذ البيعة، وإن أبى فضع في عنقه جامعة[*]، وائتني به"، فلما قدم الحرس عليه وأخبره بما أتاه فيه، قال للحرس: "انصرف إلى صاحبك، فأعلمه أنني لا أجيبه إلى شيء مما سألني"، فانصرف الحرس إلى يزيد فأخبره بذلك [٦٧].

لما علم يزيد بموقف ابن الزبير أرسل بعشرة نفر من أشراف أهل الشام، فيهم النعمان بن بشير، وقال لهم: "انطلقوا فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة، وأعلموه أن أحب الأمور إلي ما فيه السلامة"، فساروا حتى وافوا مكة ودخلوا على ابن الزبير في المسجد فدعوه إلى الطاعة، وسألوه البيعة، فرفض ابن الزبير، وعاد القوم إلى الشام، وأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يجب [٦٨].

كان يزيد قد ضم المدينة إلى عامله على مكة عمرو بن سعيد بن العاص، فجاءها في رمضان من عام ٦٠ هـ/ ٦٧٩م، وكشف جهوده للنيل من ابن الزبير وأنصاره، وكتب يزيد إلى عمرو بن سعيد أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير؛ لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء(٦٩).

توجه الجيش إلى مكة بقيادة عمرو بن الزبير، فلما قرب منها جعل قسمًا من جيشه بقيادة أنيس الأسلمي بذي طوى، ونزل عمرو بن الزبير بالأبطح، وأرسل إلى أخيه عبد الله يقول: "بُر بيمين يزيد– وكان يزيد حلف أن لا يقبل بيعة عبد الله إلا أن يؤتى به في جامعة – وتعالى حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم بعضًا، واتق الله، فأجابه عبد الله: موعدك المسجد"(٧٠).

أرسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان الجمحي إلى أنيس، فقاتلوهم حتى قتل أنيس، ولحقت الهزيمة بجنده، وأرسل مصعب بن عبد الرحمن إلى أخيه عمرو بن الزبير، وكان قد تفرق عنه أصحابه لما رأوا ما حل بأنيس ورجاله، فقبض عليه عبد الله وحبسه في السجن، ثم اقتص منه عن كل من ضربه بالمدينة، ومات عمرو بالسجن تحت ضرب السياط (٧١).

انتهت حملة عمرو بن الزبير بالفشل، وأصيب عمرو بن سعيد بخيبة أمل كبيرة، وأصبح موقفه حرجًا أمام يزيد، مما أدى بيزيد إلى عزله، وأرسل إلى المدينة الوليد بن عتبة واليًا عليها في أول ذي الحجة عن عام ٦١هـ/ ٦٨٠م (٧٢).

ازدادت الأوضاع الأمنية في الحجاز سوءًا، وابن الزبير يزيدها، يتأجج المعارضة على الأمويين، ولم يستطع الوالي الجديد السيطرة على الموقف، فأرسل ابن الزبير إلى يزيد رسالة يوقع بها الوالي الجديد عند يزيد، فوصفه بقوله: "إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق"(٧٣).

حاول يزيد أن يميل إلى المهادنة والسلام مع ابن الزبير الذي قويت شوكته واستعرت دعوته، ريثما يستعد للقضاء عليه، فاستجاب لكتابه، وعزل الوليد بن عتبة،

وبعث مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو فتى حديث عهد بالحكم وليس له خبرة، فلما جاء المدينة، جمع وفدًا من أشرافها يمثلون قومهم، وأرسلهم إلى دمشق لزيادة الخليفة، عسى أن تهدأ النفوس ويتجدد الولاء. فلما قدم الوفد على يزيد، أكرمهم وأحسن إليهم، ثم انصرفوا من عنده، وعادوا إلى المدينة (٧٤).

لما عاد الوفد إلى المدينة أظهروا سب يزيد وقالوا للناس: "قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيام، ويلعب بالكلاب، ويسامر الحزاب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه، فتابعهم الناس" (٧٥).

تأثر يزيد من موقف أهل المدينة، وتنكر وفدهم لمعاملته وعطائه، فأرسل يزيد كتابًا إلى عامله عثمان بن محمد، يهدد فيه أهل المدينة، وينذرهم عاقبة أمرهم.

فكان أثر هذا الكتاب على الناس كأثر الناس في الهشيم إذ نددوا بالخليفة، وشتموه وتهجموا على الوالي، وبايعوه عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد، ثم هاجموا الأمويين الموجودين في المدينة وأنصارهم، ولم يستطع الوالي عثمان بن محمد أن يتصرف تجاه ثورة أهل المدينة، فأرسل جماعة من بني أمية كتابًا إلى يزيد يستغيثون فيه بيزيد. فأرسل يزيد جيشًا إلى المدينة؛ لتأديب أهلها، والثأر لكرامة الأمويين، ثم التوجه إلى مكة؛ للقضاء على الزبيريين (٧٦).

وقعة الحرة وانضمام أهل المدينة للحزب الزبيري:

أعد يزيد حملة من جند الشام، وسيرها إلى الحجاز، ووضع مسلم بن عقبة المري قائدًا، ووصاه يزيد؛ إن حدث له حدث يستحلف الحصين بن نمير السكوني، وقال له: "ادع القوم ثلاثًا، فإن هم أجابوك، وإلا فقاتلهم، فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثًا، فما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عني الناس"(٧٧).

لما عرف أهل المدينة بنبأ جيش مسلم بن عقبة، شددوا الحصار على بني أمية، وهددوهم بالقتل، أو يعطوا عهدًا إذا خرجوا من المدينة، ألا يساعدوا عدوهم، فلما أعطوهم عهدًا بذلك خلوا سبيلهم. فخرجوا حتى لقوا جيش مسلم بن عقبة، فأدل عبد الملك بن مروان مسلم على أفضل السبل لدخول المدينة (٧٨).

وصل مسلم بن عقبة إلى الحرة، ودعا أهلها ثلاثًا، فلما مضت الثلاث قال: "يا أهل المدينة ما تصنعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: "بل نحارب"، وقالوا له: "يا أعداء الله، لو أردتم أن تجوزوا إليه (يعني ابن الزبير) ما تركناكم نحن، قد نعلم أن تأتوا بيت الله الحرام، فتخيفوا أهله، وتلحدوا فيه، وتستحلوا حرمته، والله لا نفعل"(٧٩).

بذلك أعلن أهل المدينة موقفهم صراحةً بخلع بيعة يزيد، والبيعة لابن الزبير، ولم يكن قولهم تأييدًا لابن الزبير شخصيًا، بل للدفاع عن حرمة بيت الله الحرام، أي أنهم يدافعون عن العائذ ببيت الله الحرام.

كان أهل المدينة قد اتخذوا خندقًا في جانب المدينة، وكان عليهم عبد الله بن مطيع العدوي، وعبد الله بن حنظلة الغسيل، وكانت وقعة عظيمة بين الطرفين، قتل فيها خلق كثير من أهل المدينة تجاوز أربعة آلاف من سائر الناس، ومن نجا منهم تفرق في الأمصار الإسلامية (٨٠). ولم يوقف مسلم القتل عن أهل المدينة، حتى بايعوا يزيد على أنهم عبيد له، يحكم في دمائهم وأموالهم ما شاء، وكانت وقعة الحرة في آخر ذي الحجة من عام ٦٣هـ/ ٦٨٢م (٨١).

ويعلق الدكتور أحمد إبراهيم الشريف موقف أهل المدينة بقوله: "ويلاحظ في هذا الموقف أن أهل المدينة لم ينسقوا مع ابن الزبير حركتهم على الرغم من أن الطرفين كانا عدوين لأهل الشام، وكانا غرضًا لجيش ملم، فلما يتحرك ابن الزبير لمعاونة أهل المدينة، وأتاح لجيش مسلم أن يضربهم هذه الضربة، ثم يتفرغ له بعدها، ويمكن أن يعزي الموقف في المدينة إلى أنه كان مجرد سخط وهياج عاطفي لم يكن له خطة محددة" (٨٢).

توجه مسلم بن عقبة نحو مكة، فلما وصل إلى المشلل (٨٣). اشتد به المرض، فجمع رؤوس الأجناد، وقال لهم: "إن أمير المؤمنين عهد إلى أن حدث لي حدث الموت، أن استخلف عليكم الحصين بن نمير السكوني" (٨٤).

الحصار الأول لمكة عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م ومواجهة الزبيرين له:

اتجه مسلم بن عقبة إلى مكة، ولكنه مات في الطريق، وتولى أمر الجيش الحصين بن نمير السكوني، بعد أن أوصاه مسلم أن يناجز ابن الزبير حال وصوله، وألا يرد أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم، وألا يجعل أذنه وعاء لقريش فيخدعوه(٨٥). ووصل الجيش إلى مشارف مكة فتحصن منه ابن الزبير، وكان قد اجتمع اليه عدد من أهل المدينة خرجوا اليه بعد الحرة، وكذلك اجتمع اليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت، ودارت بين الطرفين اشتباكات لم تصل إلى نتيجة حاسمة، ثم حاصر جيش الشام بيت الله، وفي أثناء الحصار وقع حريق الكعبة، فتصدعت بعض أركانها (٨٦).

وقد كثرت الروايات حول حريق الكعبة، ومن يتحمل مسئولية ذلك الإحراق، ولكن الطبري نسب ذلك الإحراق إلى أهل الشام، فقال: "وأخذوا يقذفون البيت بالمنجنيق وهم يرجزون(٨٧):

خطـــارة مثـــل الفنيـــق المزبـــد نرمـــي بهـــا أعـــواد هـــذا المســـجد

ثم عاد ونسب سبب الإحراق إلى جماعة عبد الله بن الزبير، حيث إن رجلاً من أصحاب ابن الزبير أخذ قبسًا(نارًا) على رأس رمح له، فطيرت الريح به، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الأسود(٨٨). والحقيقة أن تبعة هذا الحريق تقع على الخصمين المتحاربين، فما كان لابن الزبير أن يعوذ بالبيت الحرام ليناوئ خصمه، ويحل القتال فيه، كما كان على الحصين أن يحاصر ابن الزبير حتى تخور قواه، ويسلم في النهاية.

أثناء حصار جيش الشام لابن الزبير في مكة، وصلت أبناء وفاة يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير قبل أن يصل إلى جيش الشام، وكانوا قد ضيقوا الخناق عليه، فأخذ يناديهم: "علام تقاتلون وقد مات صاحبكم"(٨٩).

وعندما وصل النبأ إلى الحصين بن نمير، رأى أن لا حاجة لمواصلة القتال، ودعا إلى الصلح مع عبد الله بن الزبير، ودعاه إلى المبايعة بقوله: "إن هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر فهلم نبايعك"(٩٠). وطلب منه الخروج معه إلى الشام لتتم البيعة هناك، فينال رضا أشراف القوم، وتهدأ الفتنة، ولا يجرؤ أحد هناك بالخلافة من بعده، وطالبه بعدم طلب الثأر على من قُتل من جموع جيشه(٩١).

وقع عبد الله بن الزبير تحت الشك والريبة، مخافة أن يُغدر به، وخوفه من أن يخسر رجاله ومؤيديه إذا ما تركهم وخرج إلى الشام، وبعد مشورة قال للحصين بن نمير: "أما دون أن أقتل بكل رجل من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام فلا"(٩٢). وأخذ الحصين يكلمه سرًا، وهو يكلمه علانية، وبصوت مرتفع، فأغضب ذلك الحصين، وقال له: "لقد كذب من زعم أنك من دهاة العرب، أكلمك سرًا، وتكلمني جهرًا؟" (٩٣).

ندم عبد الله بن الزبير على عدم إجابة بيعة الحصين بن نمير، فأرسل له برسالة بعد عودته بجيشه إلى الشام، يقول فيها: "أما أن أسير إلى الشام، فلست فاعلاً، وأكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هناك، فإني مؤمنكم وعادل فيكم" (٩٤).

أقر البعض موقف ابن الزبير من عرض الحصين بن نمير، والبعض خطأه، وعدوا خروجه ضروريًا لتثبيت أمره، وعدم اختلاف الناس عليه، بينما رأى المستشرق رودلف زلهايم رأيًا مغايرًا، إذ يقول: "لم يكن باستطاعة عبد الله بن الزبير أن يقبل هذا الشرط دون التنصل من قصته، وإن رفضه لهذه البيعة المشروطة يؤكد لنا ثباته وتمسكه بهدفه في إعادة مكانه في مكة والمدينة"(٩٥). لكن ثمة رأي آخر عند د. عبد المنعم ماجد حين عقب على كلام الحصين لعبد الله بن الزبير قائلاً: "إن بقاءه في مكة – يعني عبد الله بن الزبير – كان سببًا في إضعاف حركته لاحقًا، لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها، ولو أنه قاتل فيها، فإنه يسيء إلى حرمة الكعبة" (٩٦).

خلافة عبد الله بن الزبير:

بدأت تتهيأ أسباب الخلافة لعبد الله بن الزبير، خاصة بعد وفاة يزيد بن معاوية، وتأييد كثير من المسلمين له في حصار الكعبة، بل أغضبهم غزوها. وسارعوا إلى مساندة عبد الله بن الزبير والوقوف إلى جانبه إلى جانب أن الحجاز كانت زمن يزيد مهملة لا حراك سياسيًا فيها، ومن الصعب على الأمويين جعلها قوة متينة تردف قوتهم في الشام، فما جعل مساحة الحركة والحرية لعبد الله بن الزبير تقوى، وترعرع بعيدًا عن خصومه.

استخلف يزيد بن معاوية قبل وفاته ابنه معاوية من بعده، فلما وصل نبأ وفاة يزيد دمشق بويع معاوية بن يزيد بالخلافة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، ولكن لم يمكث معاوية في الخلافة إلا ثلاثة شهور، وبعدها تنازل عن منصب الخلافة، ثم دخل منزله وتغيب حتى مات. وبذلك ترك منصب الخلافة شاغرًا، وجعل أمر المسلمين شورى بينهم، وضعف شأن بني أمية القيادي، ولم يبق من يخالف ابن الزبير على الخلافة، فتوالت الأمصار بعقد البيعة لعبد الله بن الزبير، فأعلن نفسه خليفة للمسلمين بمكة عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م، ولقب نفسه أميرًا للمؤمنين(٩٧). أما سبب امتناع ابن الزبير عن إعلان

خلافته في خلافة معاوية الثاني، كونه أراد أن يظهر أمام المسلمين بمظهر المطالب الوحيد بالحق الشرعي في إعادة الأمر شورى بين المسلمين (٩٨).

استتب الأمر لعبد الله بن الزبير، وبدأ ممارسة العمل أميرًا للمسلمين؛ حيث سير الولاة، فاستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير، وأرسل إلى مصر عبد الرحمن بن جحدم، كما أرسل إلى اليمن وخراسان فبايعوه، أما البصرة والكوفة فقد تأخر ظهور أمره فيها بعض الوقت، وبعد خروج ابن زياد من الكوفة أرسل أهلها إلى ابن الزبير أن يولي عليهم أميرًا، فأرسل محمد بن يزيد واليًا عليهم، ثم طلب أهل البصرة أن يولي عليهم أميرًا، فأرسل إليهم عمر بن عبيد الله بن معمر، وبذلك دان أهل العراق لابن الزبير عدا الخوارج والشيعة (٩٩).

انقسم أهل الشام على أنفسهم، فغالبيتهم رضوا بابن الزبير، الذي لم يحاول أن يغير في الأوضاع هناك. وكان البعض من بني كلب يريدون أن تستمر الخلافة في بيت معاوية بن أبي سفيان، ولكن ما من أحد من ذريته قد بلغ من العمر ما يؤهله لشغل هذا المنصب، غير أنه ليس لبني كلب من القوة ما يستطيعون بها أن يفرضوا على بقية أهل الشام رأيهم. فنادوا بأن تكون الخلافة لخالد بن يزيد، وقد مالت قبائل كندة والسكون في مقاطعة الأردن إلى ابن الزبير أول الأمر، ثم اكتشفوا أن الأمويين هم وحدهم القادرون على ضمان وحدة بلاد الشام، ثم الحفاظ على امتيازاتهم القائمة فيها، فمالوا بولائهم إليها (١٠٠).

أما دمشق فترددت بين إعلان ولائها لابن الزبير، وحفاظها على عهد الأمويين. فقد كانت دمشق عاصمة الدولة، ومن ثم موطنًا لعدد من قادة البيت الأموي وأنصارهم، كما كانت أيضًا لهذا السبب نفسه مركزًا رئيسًا للقيسين الفاتحين المسيطرين عليها وعلى أجهزة الدولة الإدارية والمالية. وكان يشرف على شئون دمشق منذ تنازل معاوية الثاني عن الخلافة الضحاك بن قيس الفهري، فتنازعته ميوله القيسية وخدماته

للأمويين، فترددت دمشق تبعًا لهذا في تقرير موقفها الذي تتخذه من هذه المشكلة(١٠١).

وهكذا نرى أن تتنازل معاوية الثاني عن الخلافة أصاب الأمويين بنكسة شديدة، إذ اصطبغت الدولة كلها بالصبغة الزبيرية، ولم يبق للأمويين معقل إلا في الأردن، ولا أنصار إلا في قبيلة كلب(١٠٢).

ثم حدث تطور جديد، ذلك هو تحالف مروان بن الحكم شيخ بني أمية، الذي كان قد عزم على البيعة لابن الزبير، وبين عبيد الله بن زياد الذي فشل في أخذ البيعة لنفسه من أهل العراق، وطرد منها (١٠٣). فحدث عبيد الله بن زياد مروان بن الحكم وحرضه على المطالبة بالخلافة فقبل مروان، وأيدت غالبية الأمويين عندئذ مروان بن الحكم، والتفت حوله قبائل السكون، فنودي به أميرًا للمؤمنين(١٠٤).

وفي الجابية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م عقد الكلبيون وحلفاؤهم مؤتمرهم، وتشاوروا في أمر البيعة والخلافة، وانتهى الأمر بعدم مبايعة ابن الزبير، وأن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، على أن تكون ولاية العهد من بعد مروان لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص (١٠٥).

لكن لم يكن تثبيت هذا الأمر سهلاً، فما زالت تعترضه صعوبات كثيرة، فالضحاك بن قيس زعيم القيسية المناصر لابن الزبير، قد ذهب إلى مرج راهط، وانضم اليه النعمان بن بشير والي حمص وزفر بن الحارث أمير قنسرين، واستعدوا لمواجهة الأمويين، ولم يُضِعْ مروان بن الحكم وقتًا، فقد عبأ أنصاره من قبائل اليمن في الشام، واتجه إلى مرج راهط، فدارت معركة حسمت الوقف في الشام لبني أمية ومروان بن الحكم؛ حيث هزم القيسيون أنصار ابن الزبير، وقُتل الضحاك بن قيس(١٠٦).

قبل وفاة مروان بن الحكم نجح في إعادة مصر إلى الحكم الأموي، وحول ولاية العهد لأبنائه عبد الملك ثم لعبد العزيز، وبعدها توفي بدمشق سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤(١٠٧).

آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان بعد وفاة ابنه سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وكان سلطانه يمتد على بلاد الشام ومصر. أما ابن الزبير، فكان سلطانه يمتد على مساحة واسعة، وتشتمل على الحجاز والعراق واليمن وخراسان (١٠٨).

علم ابن الزبير بوفاة مروان بن الحكم، فتجدد أمله بالانفراد بالسلطة، وبعث جيشًا بقيادة نائل بن قيس الجذامي إلى فلسطين ليستولي على بلاد الشام، فلما علم عبد الملك بقدوم نائل، خرج بنفسه على رأس حملة، والتقى بجيش الزبيرين عند أجنادين في فلسطين، وجرى قتال عنيف أودى بحياة نائل، وألحق الهزيمة بجيش ابن الزبير، الذي عاد إلى الحجاز خائبًا (١٠٩). وعاد عبد الملك إلى دمشق فائزًا منصورًا. وفي العام التالي أرسل عبد الملك جيشًا إلى الحجاز بقيادة ابن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم، فوصل وادي القرى في شمال الحجاز، ثم عاد دون أن يخوض معركة مع جند ابن الزبير. وربما كان عبد الملك يهدف من هذه الحملة العسكرية الإرهاب، وإظهار القوة؛ حتى لا يعود ابن الزبير لغزو بلاد الشام ثانية(١١٠).

رأى عبد الملك في صراعه مع ابن الزبير أن يبدأ باسترداد العراق؛ لما له من أهمية كبيرة من الناحيتين البشرية والاقتصادية، فكان عبد الملك حينما يتحدث عن العراق يقول: "إن الشام بلد قليل المال، ولا آمن نفاذه" (١١١). وباسترداد العراق يقضي عبد الملك على مصعب بن الزبير نائب ابن الزبير على العراق، وفي ذلك خسارة كبيرة لابن الزبير، وإضعاف لقوته، مما يساعد ويمهد لحربه بالحجاز أو حصاره هناك حتى يستسلم.

كان أهل العراق قد شعروا بخيبة أمل كبيرة من تصرفات عبد الله بن الزبير معهم، فيذكر الجاحظ أن مصعب بن الزبير قدم إلى عبد الله بن الزبير في مكة، وقال له: "يا أمير المؤمنين، قد جئتك بوجوه أهل العراق، ولم أدع لهم نظيرًا، فأعطهم من المال"(١١٢). لم يرق هذا الكلام لعبد الله بن الزبير، ونفر في وجوههم، وقال: "والله لوددت أن لي بكل عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام، صرف الدينار

بالدرهم"[١١٣]. وقد أخذهم الغضب من هذا الكلام، وأردوا الابتعاد عنه، فقالوا له: "أحبك أهل العراق، وأحببت أهل الشام، أحب أهل الشام عبد الملك بن مروان" [١١٤].

وكان لموقف عبد الله بن الزبير من أهل العراق آثار سلبية، أهمها أنه فقد ودهم له، وأن اتصالاتهم بأعدائه باتت تكون مثمرة، وقد كان مصعب بن الزبير يرى أن استمرار الولاء بحاجة إلى البذل والعطاء، غير أن عبد الله بن الزبير، كان على عكس أخيه مصعب في العطاء، وقد عُد شحيحًا في أغلب المصادر التي تناولته بالدراسة[١١٥]. ولعل هذا ما استغله عبد الملك بن مروان لضم أهل العراق إلى جانبه.

خرج عبد الملك بجند الشام، ووصل إلى مسكن قرب معسكر مصعب بن الزبير، الذي كان يحارب الخوارج في البصرة[١١٦]. وبذلك أصبح وضع مصعب العسكري لا يشجع كثيرًا على القتال، فالتقى الجيشان عند مسكن، وبدأ عبد الملك يكاتب أمراء العراق، ويغريهم بالمال والإمارة؛ ليفتنهم، ويبعدهم عن جيش مصعب، ويدعوهم للانضمام إليه، وكان كل من الأمراء يخفي أمره عن مصعب إلا إبراهيم بن الأشتر؛ لما جاءه كتاب عبد الملك اطلع مصعب عليه [١١٧]. بل أطمع عبد الملك مصعب بن الزبير نفسه، فعرض عليه أن يدع دعاءه لأخيه، وأنفذ إليه أخاه محمد بن مروان، "فعرض عليه الأمان وولاية العراق أبدًا ما دام حيًا، ومليوني درهم صلة" [١١٨]. فأبى مصعب دعوة عبد الملك على أن تكون الخلافة شورى[١١٩]، والتحم جيش جند الشام بجيش مصعب بن الزبير، فلم يبقَ معه إلا قليل، فقاتل حتى قُتل بمعركة دير الجاثليق سنة ٧١ هـ/ ٦٩٠م [١٢٠]. وبعد المعركة دعا عبد الملك جند العراق إلى بيعته، فبايعوه، وولى عليهم أخاه بشر بن مروان [١٢١].

كان لمقتل مصعب بن الزبير أثر كبير على الحزب الزبيري، وفاجعة أكبر للموالين لعبد الله بن الزبير، وخسارة العراق من قبضة الحزب الزبيري كانت عاملاً من عوامل إسقاط الحزب الزبيري؛ لأن عوامل صمود الحجاز قد فقدت فاعليتها بسقوط العراق.

ولم يجد عبد الله بن الزبير بدًا من إعلان أمر مقتل أخيه بعد أن سكت عنه فترة من الزمن، أملاً في إبقاء الروح المعنوية عالية لدى أهل الحجاز، ولكن لم يبق أحد لم يتكلم في أمر مقتله حتى قيل: "تحدث بذلك العبيد والإماء في سكك المدينة ومكة"(١٢٢). وعبد الله لم يتكلم بعد، ثم قام وخطب خطبة مؤثرة نعى خلالها أخاه مصعبًا، وذم أهل العراق الذين خذلوه، واحتسبه شهيدًا عند الله (١٢٣).

القضاء على نفوذ ابن الزبير بالحجاز:

لما تولى عبد الملك بن مروان الحكم، أرسل عدة حملات إلى الحجاز، ولم يكن الهدف منها السيطرة على الحجاز، وإنما لتشغل ابن الزبير حتى لا يبادر فيمد ولاته بالعراق بالنجدات. ومن هذه الحملات حملة طارق بن عمرو، وأمر أن ينزل بأيلة على حدود الحجاز، ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار في المنطقة (١٢٤). وتشير كثرة الحملات العسكرية إلى بلاد الحجاز إلى الاضطراب الذي كانت تعاني منه بلاد الحجاز، وضعف سلطة عبد الله بن الزبير خارج مكة، فلما تم لعبد الملك قتل مصعب بالعراق هان عليه أمر الحجاز، وبدأ يفكر في الاستيلاء عليه.

لم يخرج عبد الملك بنفسه لقتال عبد الله بن الزبير كما فعل بالعراق، وإنما بعث الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش كثيف من جند الشام، وكتب معه أمانًا لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا (١٢٥).

وسار الحجاج بن يوسف في جمادى الأولى من سنة ٧٢ هـ/ ٦٩١م يريد مكة، فنزل بالطائف، وكان يرسل الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير أيضًا جنده فيقتلون بعرفة بعيدين عن المسجد الحرام الذي يحرم القتل فيه، فتنهزم خيل ابن الزبير في كل مرة، وتعود خيل الحجاج بالظفر، ثم كتب الحجاج لعبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصار ابن الزبير، ويصف له ضعفه وتفرق أصحابه، ويستمده، فأذن له، وكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو الذي كان يرابط شمالي الحجاز، يأمره أن

يلحق بالحجاج، فقدم المدينة ومعه خمسة آلاف من جند الشام، وأخر منها عامل ابن الزبير، ثم لحق بالحجاج في مكة [١٢٦].

طوق الحجاج بن يوسف بجند الشام مكة، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس، ورمى به الكعبة، وكان أول ما رمى بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت، فأعظم ذلك على جند الشام، وأمسكوا عن الرمي، فأخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده، فوضعها فيه ورمى بها معهم تشجيعًا لهم، وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف [١٢٧].

طال حصار الحجاج على ابن الزبير، واشتدت الأزمة الاقتصادية على أهل مكة، فتفرق الناس عن ابن الزبير، وخرج نحو عشرة آلاف إلى الحجاج يطالبون الأمان، فخطب الحجاج بالناس، وقال: "قد ترون قلة من مع ابن الزبير، وما هم عليه من الجهد والضيق" [١٢٨]. فأرسل الحجاج إلى ابن الزبير يخيره بين ثلاثة: "إما أن يذهب في الأرض حيث شاء، أو يبعثه إلى الشام مقيدًا بالحديد، أو يقاتل حتى يقتل" [١٢٩]. فرفض ابن الزبير.

زاد جنود الحجاج من شدة الحصار وتضييق الخناق على عبد الله بن الزبير، قاصدين النيل من عزيمته والفتك بروحه المعنوية، فنادى عليهم مناديهم: "ويلك يا ابن ذات النطاقين، أقبل الأمان، وادخل في طاعة أمير المؤمنين"[١٣٠].

تفرق عن ابن الزبير أصحابه، فدخل على أمه أسماء بنت أبي بكر، ودار بينهما حوار له من الأهمية، فهو حوار بين خليفة تجاوز السبعين، وهو مقبل على الموت، وأمه التي قاربت المئة، وقد فقدت بصرها، وليس لها إلا ولدها يرعاها، كان هذا اللقاء والحوار قبل موته بعشرة أيام[١٣١]. وكانت نتيجة هذا الحوار ازدياد حماس ابن الزبير، الذي أشارت عليه أمه بعدم الاستسلام إلا للحق[١٣٢].

ازدادت عزيمة ابن الزبير قوة بعد حواره مع أمه، فخرج وحمل على جند الشام حملة منكرة، فقتل منهم، ثم انكشف هو وأصحابه، وقال له بعض أصحابه: "لو لحقت

بموضع كذا ... قال: بئس الشيخ أنا إذًا في الإسلام، لئن أوقعت يومًا، فقتلوا، ثم فررت عن مثل مصارعهم" (١٣٣). ولم يقبل ابن الزبير أن ينزل على الأمان(١٣٤). بل خطب في رجاله خطبة طويلة يشجع أصحابه على مصارعة السيوف والمحافظة على رباطة الجأش، ومما قاله: "ولا يلهينكم السؤال عني، ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير؟ ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول"(١٣٥).

دنا جند الشام حتى امتلأت بهم الأبواب في المسجد الحرام، وضيق الحصار على ابن الزبير، ثم تكاثروا عليه، فظل يقاتلهم حتى قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ/ ٦٩٢م(١٣٦). وأخذ الحجاج البيعة من أهل مكة لعبد الملك بن مروان، وأسندت إليه ولاية الحجاز، بالإضافة إلى اليمن واليمامة(١٣٧).

بذلك قضى ابن الزبير مدة خلافته في تأسيس دولة وحروب، ثم قُضي عليه، وتبعه حزبه، وانتهى أمره، كذلك لم يترك لنا دعاة ينهضون بإقرار نظريته والسير على سننه، ولو جدلاً، كما فعلت الأحزاب الأخرى، فكان الحزب الزبيري أشبه بثورة طارئة انتهت بمقتل صاحبها إلى الأبد.

يضاف إلى ذلك أن عبد الله بن الزبير عندما أعلن خلافته، كان حديث العهد بالإدارة رغم تقدم سنه، وليس له رصيد سياسي يعتمد عليه، ولا تكتل بشري كبير يعتد به، فهو يريد أن يبني دولة ليس لها قواعد وأصول سابقة ثابتة. ولم يكن عبد الله بن الزبير ندًا سياسيًا لمعاوية بن أبي سفيان ولعبد الملك بن مروان، فانهارت دولته بعد تسع سنين من قيامها، وانهار معها حزبه، واعتبر خلافته عدد من المؤرخين فتنة عابرة في تاريخ الدولة الأموية.

وسائل الدعاية السياسية للحزب الزبيري:

تستخدم الدعاية السياسية وسائل كثيرة لتصل إلى هدفها. وتختلف الوسائل المستخدمة للدعاية بحسب الظروف المتاحة أمامها لمساعدتها على الوقوف في وجه المنافسات السياسية الأخرى للوصول للهدف.

ونتيجة لارتباط الدعاية بالمنافسة السياسية منذ الفتنة في عهد عثمان بن عفان، ظهرت الأحزاب السياسية، وتبلورت على بداية عصر الدولة الأموية؛ لذلك راح كل حزب يبذل قصارى جهده لجذب الأنصار والمؤيدين لوجهة نظره، وطبيعي ألا يتم ذلك دون وسائل إعلامية وإقناعية استهدفت للتأثير في الناس وتغيير اتجاهاتهم.

ويرتبط نجاح كل من الدعاية والدعاية المضادة بمدى فعالية الوسائل المستخدمة. ولذلك استخدم الحزب الزبيري كافة الوسائل الدعائية الممكنة نحو الأحزاب المتصارعة معها.

ويمكن تقسيم الوسائل التي استخدمها الحزب الزبيري للوصول إلى الناس والتأثير عليهم على النحو الآتي:

١- الخطابة.

٢- الشعر.

٣- المساجد والرموز.

٤- السكة.

[١] الخطابة:

الخطابة مصدر خطب يخطب، أي: صار خطيبًا. وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم. فالخطابة مردها التأثير في نفس السامع، ومخاطبة وجدانه، وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه؛ ليذعن للحكم إذعانًا، ويسلم به تسليمًا[١٣٨].

عرف العرب أهمية الخطابة، فاعتمدوها الوسيلة الأولى للتأثير والإقناع، وظلت لها هذه الأهمية على عهد رسول الله((ص))، فقد اعتمد عليها في نشر الدين الإسلامي، وشرح مبادئه التي نادى بها[١٣٩].

وقد شاركت الخطابة للدعاية السياسية للأحزاب في العصر الأموي، وكانت أداة فعالة في أيدي المتنازعين، كل يدلي بحجته التي تبين حقه في الخلافة، وأنه أولى من سواه بها. وكان عبد الله بن الزبير ممن أوتوا طلاقة في اللسان، وقوة في البيان، فكان خطيب حزبه، والمدافع عنه(١٤٠). ويروى أنه كان لا ينازع في ثلاثة: "الشجاعة، والعبادة، والبلاغة، وكان جهوري الصوت، إذا خطب تجاوبه الجبال"(١٤١). ويذكره الجاحظ بقوله: "إنه كان من أحسن الناس حديثًا، وأن غيره كان يحاكيه ويقلده بالمنطق، وإنما عابه من عابه حسدًا؛ لعجزه عن محاكاة منطقه"(١٤٢).

ويؤكد قوة عبد الله بن الزبير وحضوره الخطابي يوم خطب بأهل المدينة حين عاد من جهاده في إفريقية، يحمل البشرى إلى الخليفة عثمان بن عفان في المدينة، وقص عليه كيف كانت الواقعة، فأعجب عثمان بما سمع منه، فقال له: "يا بني، أتقول بمثل هذا الكلام على الناس؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أهيب لك منهم، ووقف إلى جانب المنبر خطيبًا، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر"(١٤٣). ويعلق أبوه الزبير بن العوام على الخطبة بقوله: "كأني سمعت أبا بكر الصديق، من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها أو أخيها، فإنها تأتيه بأحدهما"(١٤٤).

وعبد الله بن الزبير وإن كان أبوه وصفه بأبي بكر الصديق، إلا أنه فعلاً كان يميل إلى تمثل شخصية أبي بكر وشخصية عمر بن الخطاب، وكان يظهر ذلك في مشيته، إذ كان يشمر إزاره، ويحمل الدرة، مثل ما كان عمر بن الخطاب يفعل، وكان يصعد المنبر ويخطب ويقول: "أيها الناس، إن بطني شبر، وما عسى يكفي شبر في كل يوم قبضة من طعام، وإنما أ ريد أن أسير فيكم بسيرة الصالحين، وسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكثيرًا ما كان يقرأ سورة الأعراف على المنبر، ويقرأها حرفًا حرفًا"(١٤٥). ولكن هذ الأمر عابه عليه الناس، فقال أبو مرة مولى خزاعة(١٤٦):

لـم نـر مـن سـيرة الفـاروق عنـدكم غيـر الإزار وغيـر الـدرة الخلـق

ونرجع عدم اقتناع الناس بهذا الأمر إلى أن العصر الذي عاشه ابن الزبير يختلف عن عصر عمر بن الخطاب، فقد سن معاوية بن أبي سفيان في فترة حكمه سنة هي دفع المال بلا حدود لشراء ولاء الأعوان، وكان ابن الزبير حريصًا غاية الحرص في الإنفاق. فالناس يريدون أعطيات ولا يريدون من يتلو عليهم سورة الأعراف، ويقول قبضة من طعام تكفيني.

ومن الخطب التي كان لها أثر كبير على إظهار الحزب الزبيري، خطبته التي ألقاها على أهل مكة عقب وصوله نبأ استشهاد الحسين بن علي في كربلاء، فقد قام عبد الله بن الزبير وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ((ص)): "إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حُسينًا لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقالوا: إما أن تضع يدك في أيدينا، فنبعث بك إلى ابن زياد ابن سمية سلمًا فيمضي فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير، فإن كان الله لم يطلع على الغيب أحدا أنه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حُسينًا وأخزى قاتل حُسين! لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم، ولكنه ما جم نازل (القدر واقع)، وإذا أراد الله أمرا لن يدفع، أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا؟ لا ولا نراهم لذلك أهلا".

وبعد أن حمل عبد الله بن الزبير على أهل الكوفة في استباحة دم حفيد رسول الله ((ص))، حاول أن يثير الناس على يزيد بن معاوية من طرف خفي، فعدد مناقب الحسين بالتصريح، ومثالب يزيد بالتلميح، فأضاف قائلاً: "... أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد، فسوف يلقون غيا"[١٤٧].

أثار ابن الزبير بكلامه أهل مكة، وظن بمدحه الحسين أن يكسب تأييد الشيعة، فاجتمع إليه أصحابه وقالوا: "أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد إذ هلك الحسين ينازعك هذا الأمر، فقال لهم: لا تعجلوا" (١٤٨).

استفاد عب الله بن الزبير كثيرًا من وجوده بمكة وموسمها السنوي للحج، فكان يستغل وفود الحجاج ويشرح قضيته، ويدعو لنفسه معتمدًا على الحجة في خطاباته التي كان يلقيها على الحجاج(١٤٩). وقد تصدى عبد الملك بن مروان لهذا الأمر، فمنع أهل الشام من التوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج؛ حتى لا يتأثروا بدعوة ابن الزبير ويبايعوه، فهو خطيب فصيح ذو أثر في النفوس(١٥٠).

كان مقتل مصعب بن الزبير خسارة كبيرة للحزب الزبيري، وفجعة أكبر للموالين لعبد الله بن الزبير، وساعد موته على ضياع العراق من قبضة الحزب الزبيري، فكان عاملاً من عوامل سقوط الحزب الزبيري؛ لأن عوامل صمود الحزب بالحجاز قد فقت فاعليتها بسقوط العراق في أيدي الأمويين.

وكان عبد الله بن الزبير قد سكت فترة من الزمن عن إعلان موت مصعب بن الزبير، أملاً في إبقاء الروح المعنوية عالية لدى أهل الحجاز، ولكن لم يبق أحد لم يتكلم في أمر مقتله، حتى قيل: "تحدث بذلك العبيد والإماء في سكك المدينة ومكة"(١٥١).

ثم قام يخطب خطبة ينعي بها أخاه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم سكت، فجعل لونه يحمر مرة ويصفر مرة، فقال رجل من قريش لرجل من جانبه: ما له لا يتكلم! فوالله إنه للبيب الخطباء. قال: لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب، فيشتد ذلك عليه، وغير ملوم، ثم تكلم فقال: "الحمد لله، له الخلق والأمر، والدنيا والآخرة، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. أما بعد، فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان معه الأنام طرًا، ولم يذل من كان الحق معه، وإن كان فردًا. ألا وإن خبرًا من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا،

فأما الذي أحزننا، فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه، ثم يرعوي ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء، وأما الذي أفرحنا، فإن مقتل مصعب، له شهادة، ولنا ذخيرة، أسلمه النعام المعلم (المقطوع) الأذان، ألا وإن أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه، فإن يُقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه، وكانوا الخيار الصالحين. إنا والله لا نموت حتفًا، ولكن قعصًا (إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه) بالرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف، ليس كما يموت بن مروان، ألا إنما الدنيا عارية من المليك الأعلى الذي لا يبيد ذكره، ولا يذل سلطانه، فإن تُقبل الدنيا علي، لم آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني، لم أبكِ عليها بكاء الخرق المهين، ثم نزل"[١٥٢].

وخر خطبة ألقاها عبد الله بن الزبير قبل موته، عندما اشتد عليه حصار الحجاج بن يوسف، عندها خطب ابن الزبير في أصحابه ينزع الخوف من قلوبهم، ويشجعهم على مصارعة السيوف والمحافظة على رباطة الجأش، ومما قاله: "ولا يلهينكم السؤال عني، ولا تقولن: أين عبد الله بن الزبير؟ ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول"[١٥٣].

وبذلك نجد ن الخطابة كانت من أهم وسائل الدعاية السياسية، فكانت أداة فعالة في أيدي مؤسس الحزب الزبيري، فكان دائمًا يدلي بحجته في كل المواقف التي تبين حقه في الخلافة، وأنه أولى بها من سواه، فكان عبد الله بن الزبير ممن أوتوا طلاقة في اللسان، وقوة في البيان، فكان خطيب حزبه، والمدافع عنه.

[٢] الشعر:

تعد القصيدة الشعرية من وسائل الدعاية الأولى التي عرفها العرب، وكانت الأداة الوحيدة للتعبير عن رأي القبيلة في العصر الجاهلي، وإذاعة أخبارها ومآثرها الحقيقية منها والمفتعلة. وكان الشعر بذلك يشبه الجريدة اليومية التي تتضمن آخر الأنباء والتحليلات الإخبارية، ومهمته الحفاظ على سمعة القبيلة[١٥٤].

يعود ارتبط الشعر العربي بالسياسة إلى زمن مبكر جدًا من تاريخ الأدب العربي، وقد أطلق النقاد على هذا النوع من الشعر اصطلاح "الشعر السياسي"، فكان نتيجة لالتزام الشعر بالسياسة بعد مقتل عثمان بن عفان، وما أعقبه من فتن وحروب أهلية، انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب، تتنافس على السلطة، وتختلف في فهمها لنظام الحكم (١٥٥).

كان لكل حزب من الأحزاب السياسية شعراؤه الذين يعبرون عن أهدافه، ومفهومه للحكم، وحقه فيه. ويهاجمون خصومه، ويشككون في حقهم، ويحطون من شأنهم، ويرمونهم بالمروق من الدين. وكانت العقيدة هي المحور لتلك الخصومات السياسية بين تلك الأحزاب، يلتمس كل حزب منها بيانًا لحقه، وإعلاءً لشأنه، وتأييدًا لنظرته، ويرمي سواه من الأحزاب بالخروج عليها. وقد نبت حروب بين هذه الأحزاب، ولا ريب في أن هذه الوقائع والحروب قد رافقها شعر غزير، كان يتفوه به الشعراء في الانتصار لأحزابهم، ومهاجاة الأحزاب الأخرى ومعارضتها (١٥٦).

إن الشعر الذي واكب مسيرة الحزب الزبيري مقارنة مع الأحزاب الأخرى نلاحظ أنه قليل، ويرجع ذلك إلى قصر عمر هذا الحزب الذي بدأ وانتهى في اثني عشر عامًا، فقد بدأ سنة ٦١هـ/ ٦٨٠ م وانتهى عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م، بعد قتل عبد الله بن الزبير. وقد واكب الشعر الحزب الزبيري من بدايته إلى نهايته، واشترك في أحداثه، وتفاعل معها، وكان للحزب الزبيري شعراؤه الذين جعلوا طاقاتهم الشعرية في خدمة الحزب الزبيري والدعاية له، وتركوا إرثًا من الشعر، بحيث لا نستطيع القول إن الفترة التي حكم فيها الزبيريون أنه كان قليلاً قياسًا بالعمر الزمني للأحزاب الأخرى، كما ذهب البعض بقوله: "ولم يظفر الحزب الزبيري إلا بشاعر واحد" يقصدون عبيد الله بن قيس الرقيات(١٥٧).

وربما كانت قلة الأشعار في شعر الحزب الزبيري تعود إلى أن شعراؤهم من ذوي الأهواء والمطامع المادية، باستثناء عبيد الله بن قيس الرقيات، شاعر الحزب الزبيري

الملتزم، أو لانعدام الثقة في الكل إلا مع الذات، وهو نتيجة منطقية لانفصام الفرد عن الكل أو المجموع [١٥٨].

وقد تعددت موضوعات شعر الحزب الزبيري وتنوعت، وأكثرها ورودًا المديح بمفهومه السياسي؛ فقد توجه شعراء الحزب الزبيري بالمديح إلى عبد الله بن الزبير حينًا، ونحو أخيه مصعب أحيانًا أخرى. أما فيما يتعلق بمدح عبد الله بن الزبير، فقد كانت الألفاظ الدينية بدلالتها حاضرة في مدح ابن الزبير وتقواه وعدله وزهده، وتشبيهه بأبي بكر وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان؛ فيقول الشاعر النابغة الجعدي [١٥٩]:

حكيت لنا الصديق حين ولينا وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس في العدل فاستووا فعاد صباحًا حالك الليل مظلم
أتاك أبو ليلى يشق به الدجى دجى الليل جواب الفلاة عشمشم
لترفع منه جانبًا ذرعت به من صروف الليالي والزمان المصمم

ويقرر عبيد الله بن قيس الرقيات[١٦٠] معنى التقوى عند عبد الله بن الزبير فيقول[١٦١]:

أنا من أجلكم هجرت بني زيد ومن أجلكم أحب أبانا
ودخلنا الديار ما نشتهيها طمعًا أن ننالها أو ترانا
وابن أسماء خير من مسح الركن فعالاً وخيرهم بنيانا
وإذا قيل من هجان قريش كنت أنت الفتى وأنت الهجانا

وفي قصيدة أخرى لابن قيس الرقيات يؤيد فيها الحزب الزبيري، ويؤكد فيها على أحقية عبد الله بن الزبير بالخلافة، فهو سليل الأشراف الذين كانوا يعمرون مكة، وهو أشرف معاصريه، وخيرهم نسبًا وسياسة وحكمة، فيقول [١٦٢]:

أنت ابن معتلج البطاح كديها فكدائها فالبيت ذي الأركان فالمستن من
فمحل أعلاها إلى عرفاتها فحرائها من سرها فيها ومعدن برها ووفائها
أو في قريش بالعلا في حكمها ولأنت أعلمها بها وأصحها من دائها
وأتمها نسبًا إذا نسبت إلى آبائها فاجمع بني إلى بنيك فأنت خير رعاتها

نشـهدك منـا مشـهدًا ضـنكًا علـى نحن الفوارس من قريش يوم جد لقائها

كان بقاء عبد الله بن الزبير وعدم مشاركته في الحروب التي خاضها مصعب، أن لزم الشعراء مصعب بن الزبير، وانصرفوا عن عبد الله؛ لأن مصعبًا هو الذي تصدى للأمويين، إلى جانب أن مصعب كان يجزل العطاء بكثرة، فقال زفر بن الحارث: "لو كان لعبد الله سخاء مصعب، وكان لمصعب عبادة الله، لكانا كما شاء المتمني"(١٦٣).

وعرف مصعب أن وجود شاعر جيد للحزب الزبيري يكون لسان حال لحروبه، فضم عبيد الله بن قيس الرقيات إليه في العراق، فشهد مع مصعب الحروب، وشاركته القتال، فكان خير داعية لحزبه، فوصل حروبه وانتصاراته مفتخرًا به كونه قرشيًا زبيريًا وقائدًا يتصدى لأعدائه بشجاعة، فأرخ مسيرة مصعب على نهج القادة النجباء، فيقول:(١٦٤):

غيبـوا عـن مـواطن مفظعـات ليس فيهـا إلا السـيوف رخـاء
فسـعوا كـي يفلـوك ويـأبى الله إلا الـذي يـرى ويشـاء
حسـدًا إذا رأوك فضـلك الله بمـا فضـلت بـه النجبـاء
فعلـى هـديهم خرجـت ومـا طبـك فـي الله إذا خرجـت الريـاء

وفي موضع آخر يحرض على الثورة على بني أمية فيقول(١٦٥):

كيـف نـومي علـى الفـراش ولمـا تشـمل الشـام غـارة شـعواء
تـذهب الشـيخ عـن بنيـه وتبـدي عـن براهـا العقيلـة العـذراء
أنـا عـنكم بنـي أميـة مـزور وأنـتم فـي نفـس الأعـداء

وهو حين يمدح مصعبًا يمدح قريشًا معه، وهي القبيلة التي ينتمي إليها كل من الأمير والشاعر فيقول(١٦٦):

حبـذا العـيش حـين قـومي جميـع لـم تفـرق أمورهـا الأهـواء
قبـل أن تطمـع القبائـل فـي ملـك قـريش وتشـمت الأعـداء
أيهـا المشـهى فنـاء قـريش بيـد الله عمرهـا والفنـاء

إنمـــا مصـــعب شـــهاب مـــن الله تجلـــت عـــن وجهـــه الظلمـــاء
ملكـــه ملـــك قـــوة لـــيس فيـــه جبـــروت ولا بـــه كبريـــاء

وعندما مات مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـ/ ٧٩١م رثاه ابن قيس الرقيات بقوله(١٦٧):

لقـد أورث المصـرين خزيًـا وذلـة قتيـل بـدير الجـاثليق مقـيم
فمـا قاتلـت فـي الله بكـر بـن وائـل ولا صَـبَرت عنـد اللقـاء تمـيم

وقد قصر شعر ابن قيس الرقيات شعره على الحزب الزبيري، وروج لأفكارهم، وكرس أشعاره للدفاع عن مبادئهم، وعقيدتهم السياسية.

ومن الشعراء الذين روجوا للحزب الزبيري أبو وجزة السعدي، فيقول مادحًا عبد الله بن الزبير، ومقدرًا مناقب آل الزبير(١٦٨):

وآل الزبيـــر بنـــو حـــرة مـــروا بالســـيوف صـــدورًا خناقـــا
ســـل الجـــرد عـــنهم وأيامهـــا إذا امتعطـــوا المرهفـــات الخفافـــا
يموتـــون والقتـــل داء لهـــم ويصـــلون يـــوم الســـياف الســـيافا

وأيضًا يمدح عمرو بن هند عبد الله بن الزبير وأخاه مصعب، ويبين شجاعتهما وفروسيتهما، واعتماد قريش في خلاصها من أعدائها على أيديهما، فيقول(١٦٩):

ألـــم تـــر أولاد الزبيـــر تحـــالفوا على المجد ما صامت قريش وصلت
هـم منعـوا البيـت الحـرام فأصـبحت أميـة تاهـت فـي الـبلاد وضـلت
قـريش غيـاث فـي السـنين وأنـتم غيـاث قـريش حيـث سـارت وحلـت

وتستمر المجاذبة في شعر الحركة الزبيرية بين هذا الطرف وذاك، فكما يشير المؤرخون إلى شجاعة عب الله بن الزبير وفروسيته، أظهروا براعته في الشعر أيضًا، فقد كان يمثل كلامه في كثير من الأحيان بالشعر، وقد ورد له في ذلك شعر كثير.

فنجد أن معاوية بن أبي سفيان لم يترك وسيلة خطابية أوحت إليها داهيته في مخاطبة خصمه عبد الله بن الزبير إلا واستخدمها، ولعله الوحيد من بين معارضيه

الذين خاطبهم شعرًا؛ إدراكًا منه علم ابن الزبير بالفصاحة والبلاغة ومعاني المفردات، فقال(١٧٠):

رأيت كرام الناس إن كف عنهم بحلم رأوا فضلاً لمن قد تحلما
ولا سيما إن كان عفوًا بقدرة فذلك أحرى أن يجل ويعظما
ولست بذي لؤم فتعذر بالذي أتاه من الأخلاق ما كان ألوما
ولكن غشًا لست تعرف غيره وقد غش قبل اليوم إبليس آدما
فما غش إلا نفسه في فصاله فأصبح ملعونًا وقد كان مكرما
وإني لأخشى أن أنالك بالذي أذوت فيخزي الله من كان أظلما

فرد عليه ابن الزبير شعرًا(١٧١):

ألا سمع الله الذي أنا عبده وأخزى إله الناس من كان أظلما
وأجز على الله العظيم بجرمه وأسرعه في الموبقات تفحما
أغرك أن قالوا حليم بقدرة وليس بذي حلم ولكن تحلما
ولو رمت ما إن قد زعمت وجدتني هزبر عرين يترك القرن أكتما
وأقسم لولا بيعة لك لم أكن لأنقضها، لم تنج مني مسلما

وفي موضع آخر يرد على رجال يزيد بن معاوية الذين جاءوا لأخذ البيعة منه، فتمثل ابن الزبير(١٧٢):

إني لمن نبعة صم مكاسرها إذا تناوحت القصباء والعشر
فلا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرب الماضغ الحجر

ويقول ابن الزبير مفتخرًا بنفسه ونسبه(١٧٣):

أنا ابن أنصار النبي أحمد عبد الإله والرسول المهتدي

وتمثل عبد الله حين قتل مصعب(١٧٤):

لقد عجبت وما بالدهر من عجب أني قُتلت وأنت الحازم البطلُ

ولما فرض عليه العوز في الكعبة في حصار الحجاج بن يوسف له، صبر وقاتل قتال الصابرين، ويشير عبد الله بن الزبير إلى قوة تحمله وهو شيخ كبير يقاتل كالأبطال الشباب ضاربًا بصبره في القتال المثل بعفاق الذي يضرب به المثل في الصبر، فيقول[١٧٥]:

صـــبرًا عفـــاق إنـــه شـــر بـــاق
قبلـــك ســـن النـــاس ضـــرب الأعنـــاق
قـــد قامـــت الحـــرب بنـــا علـــى ســـاق

وآخر ما أنشد قبل موته قوله[١٧٦]:

شـــــــيخ كبيـــــــر عـــــــلٌ قـــــد عـــــاش حتـــــى مـــــل

وبذلك نرى أن شعراء الحزب الزبيري كانوا لسان حال الحزب الزبيري، منافحين ومحاورين، وهذا حال الأحزاب الأخرى، إذ كان لهم شعراؤهم الذين يقولون بما تراه أحزابهم، غير أن من ناصر هذا الحزب كان عن قناعة وعقيدة، ويختلف تمامًا عن الذين ساروا في ركاب الأحزاب الأخرى طمعًا في الجاه والمال.

[٣] المساجد والرموز:

كانت أهم وسائل الدعاية التي استخدمها الحزب الزبيري "المسجد" كرمز من رموز الدين. وترجع أهمية المسجد كوظيفة دعائية للدور السياسي الذي قام به المسجد في حياة المسلمين؛ حيث كان مقرًا للحكومة الإسلامية في صدر الإسلام، ومقرًا لإدارة شئون الدولة الإسلامية [١٧٧].

بعد أن تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، نقل عاصمة الدولة من المدينة إلى دمشق؛ حيث أتباعه وأنصاره، وكان لهذا العمل أثر كبير في نفوس أهل الحجاز، حيث زاد من معارضتهم له، ولا سيما عبد الله بن الزبير [١٧٨].

زاد إهمال الحجاز أكثر في عهد يزيد بن معاوية، فأصبحت مهملة سياسيًا، مما جعل بها مساحة لحركة ابن الزبير أن تقوى بها بعيدًا عن الأمويين، فرحل من المدينة

إلى مكة رافضًا بيعة يزيد، واستطاع أن يكسب عطف المسلمين من حوله بقوله: "إني عائذ بالبيت" [١٧٩]. وما زال عائذًا بالبيت يستميل إليه الناي ويبهرهم بتقواه، وطول صلاته، فازداد التفاف الناس حوله [١٨٠]. وبقي أمر عبد الله بن الزبير على حاله، وكان يقول لرواد بيت الله ناشرًا دعوته إليهم: "والله لا أريد إلا الإصلاح، وإقامة الحق، ولا ألتمس جمع مال، ولا ادخاره" [١٨١].

أخذ ابن الزبير يدعو لنفسه، فقد ارتكز حزبه على شخصه، فكان حزب الشخص الواحد[١٨٢]. واتخذ لنفسه رمزًا للدعاية لحزبه، بصفته القرشي الذي اختير في الحجاز باعتباره الأحق بالخلافة، فهو ابن الصحابي الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، أخت السيدة عائشة رضي الله عنهما، وتميز بالتقوى والصلاح، وإن الخلافة لا يكون مركزها إلا في الحجاز، باعتبار مكة والمدينة من رموز الإسلام[١٨٣]. وكان شعاره "لا حكم إلا لله"[١٨٤].

استغل عبد الله بن الزبير سيطرته على مكة وبيت الله الحرام؛ حيث تقام شعائر الحج التي تشترك فيها سنويًا أعداد هائلة من المسلمين من الأمصار الإسلامية للدعاية للحزب، والتشهير بيزيد بن معاوية، فاستغل استباحة يزيد للمدينة، وانتهاك حرمتها، ثم حرمة الكعبة وسفك الدماء في بيت الله الحرام، وإحراق الكعبة في الدعاية لنفسه ولحزبه[١٨٥]. رغم اختلاف الروايات في إحراق الكعبة، وخاصة الطبري الذي أورد روايتين عن إحراق الكعبة، فمرة ينسب الإحراق إلى أهل الشام، فقال: "وأخذوا يقذفون البيت بالمنجنيق وهم يرجزون"[١٨٦]. ثم رجع ونسب سبب الإحراق إلى جماعة عبد الله بن الزبير؛ حيث إن رجلاً من أصحاب ابن الزبير أخذ قبسًا على رأس رمح له، فطيرت الريح به، فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الأسود"[١٨٧].

وقد هيأت هذه الأحداث أسباب النجاح للحزب الزبير، وهب كثير من العرب حتى الخوارج للدفاع عن البلد الحرام، ومات يزيد بن معاوية، فبايع عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة، وبايعه الناس في الحجاز والعراق ومصر(١٨٨).

بعد أن أعلن عبد الله بن الزبير نفسه خليفة، حتى سارع حمل "الدرة"، واتخذها رمزًا للخلافة متأسيًا بالخليفة عمر بن الخطاب، كما استغل قدسية مكة والمسجد الحرام ووجوده بهما، وأطلق على نفسه "العائذ ببيت الله"، كرمز دعائي يعتمد على العاطفة الدينية في اجتذاب الأنصار (١٨٩).

ومن أساليب الدعاية، الدعاية بالأعمال الرمزية، فقد استخدم عبد الله بن الزبير بناء الكعبة بعد حرقها عملاً لاجتذاب الحجازيين لكي يتقرب إلى قلوبهم، خاصة وأن للكعبة كما هو معروف مكانة كبيرة في نفوس المسلمين، فلما دانت له البلاد بعد بيعته بالخلافة وحملت إليه الأموال من كل مكان، أجمع على هدم الكعبة، وتجديد بنائها عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م، وكان يحب أن يكون هو الذي يردها على قواعد إبراهيم عليه السلام وعلى ما وصفه رسول الله ((ص)) لعائشة رضي الله عنها، ووضع ابن الزبير البناء الجديد على ذلك الأساس الذي ورد على لسان عائشة رضي الله عنها، وزاد في ارتفاعه ليتناسب مع زيادة المساحة(١٩٠).

وكان عبد الله بن الزبير يدعو لنفسه مستغلاً الموسم السنوي للحج، فشرح للحجاج قضيته، ويدعو لنفسه ولحزبه، معتمدًا على الحجة والبيان في خطاباته، وقد تصدى عبد الملك لهذا الأمر، فمنع أهل الشام من التوجه لأداء فريضة الحج؛ حتى لا يتأثروا بدعوة ابن الزبير(١٩١). فاستغل عبد الله بن الزبير ذلك للنيل من عبد الملك.

ضج الناس بالشام بسبب منعهم من الحج، وقالوا لعبد الملك بن مروان: "تمنعنا من حج بيت الله، وهو فرض من الله علينا؟! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن

رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة"(١٩٢). وكان غرض عبد الملك بن مروان أن يمنح ما تبقى في أيد الأمويين من الأمصار قيمة دينية وسياسية خاصة بها؛ لأنه لا يمكن التفاضل بين مكة والقدس، فمهما فعل عبد الملك بن مروان لن يستطيع إقناع المسلمين بأن القدس تقابل الكعبة في مكانتها الدينية، أو أن يصرف الناس عن الحج إلى بيت الله الحرام، ويستبدلوه بالقدس، ولكن الهدف في النهاية هو استخدام عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان الرموز الدينية في الدعاية السياسية لأنفسهم.

[٤] السكة:

السكة: هي الختم على النقود بطابع من حديد ينقش فيه اسم الخليفة أو السلطان. وهي لازمة للدولة، وأحد شارات الخلافة، ووسيلة من وسائل الدعاية السياسية، فمنذ مقتل عثمان بن عفان وحتى عام ٧٧هـ/ ٦٩٦م، وهو العام الذي ارتكزت فيه السلطة كاملة لعبد الملك بن مروان، اشترك في حق ضرب القود كثير من المطالبين بالخلافة، لتأكيد سلطتهم، وإبراز سلطانهم، وأبرز مثال على ذلك النقود التي ضربها عبد الله بن الزبير في يزد سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م(١٩٣).

وقد ذكرت المصادر الإسلامية أن عبد الله بن الزبير قد ضرب الدراهم بعد إعلان خلافته، ونقش عليها كتابات عربية مثل "محمد رسول الله"، و"أمر الله بالوفاء والعدل"(١٩٤). كما أشارت إلى ضرب أخيه مصعب بن البير للدراهم بأمر منه، وقد جاءت دراهم كل من عبد الله ومصعب مشاهبة للدراهم الأموية المضروبة آنذاك من حيث النقوش الكتابية. ويمكن حصر العبارات التي نقشت على دراهم عبد الله بن الزبير فيما يأتي: نقش على وجه هذه الدراهم اسم عبد الله بن الزبير بالبهلوية على سطرين، "ولا يحمل هذا النوع أية كتابات عربية، ومن مثلة ذلك درهم ضرب في دار

بجرد سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، وكرمان سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م"[١٩٥].

ووجدت دراهم أخرى نقش عليها اسم عبد الله بن الزبير بالبهلوية مثل "عبد الله أمير أدر يشنكال"، وتعني "عبد الله أمير المؤمنين"، أما دراهم مصعب فقد تنوعت العبارات المنقوشة عليها، فمنها ما نقش بمركز الوجه اسم مصعب بن الزبير بالبهلوية، ونقش بالعربية "بسم الله– مصعب"، وضربت هذه الدراهم بالبصرة سنة ٦٦ هـ/ ٦٨٥م[١٩٦].

وتعكس عبارة "أمير المؤمنين" التي نقشها عب الله بن الزبير على دراهمه مدى الارتباط الوثيق بين معنى هذه العبارات والأوضاع السياسية السائدة حينذاك، ويدل هذا على إدراك عبد الله بن الزبير لأهمية تلقبه بهذا اللقب، وبخاصة أنه نقشه على النقود التي تعد شارة من شارات الخلافة، والتي ينحصر حق ضربها في شخص الخليفة، ومما يدل على وعي عبد الله بن الزبير نقشه لهذه العبارة باللغة البهلوية، حيث استطاع بذلك كسب تعاطف الرعية مع نقوده الجديدة، وقبولهم لها في المعاملات النقدية بشكل عام، هذا فضلاً عما أدته هذه النقود من دور دعائي سياسي للحزب الزبيري، والذي كان بمثابة دعم وتأييد حقيقي له[١٩٧].

ومن الإشارات المهمة التي أوردتها المصادر التاريخية أن مصعبًا ضرب "الدراهم بأمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة" [١٩٨]. ويرجع السبب في تحديد عبد الله بن الزبير لنوعية النقود والطراز الذي ضربت عليه، حرصه على توفير عوامل الجاح لنقوده الجديدة، وذلك لأن الدراهم الساسانية كانت مألوفة في المعاملات النقدية بشكل عام، سواء في العراق أو في غيرها من البلاد، فساعد ذلك على انتشار دراهم ابن الزبير وتقبلها، وتدعيم أهدافه في الدعاية إلى أحقيته بالخلافة.

وكان عبد الله بن الزبير أول من بدأ مراحل تعريب المسكوكات الإسلامية المبكرة، ويظهر هذا في طراز درهم "العنزة والمحراب"، وكان مايلز من أوائل الذين درسوا هذا الطراز، وهو صاحب تسمية هذا الطراز بطراز "درهم العنزة والمحراب"[١٩٩]. وهي تسمية انطلق بها من دراسة العناصر التصويرية على ظهر هذا الطراز من الدراهم،

وخاصة عنصري "العنزة" و"المحراب"(٢٠٠).

وتتابعت الدراسات اللاحقة على دراسة مايلز، ورغم اختلاف رؤاها حول تفسير ملامح هذا الطراز، فإنها اتفقت على نسبة هذا الطراز من الدراهم إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، وتحديد تأريخه بسنة ٧٥ هـ/ ٦٩٤م كبداية للتأريخ، مع الإشارة إلى احتمال ضربه أيضًا في السنوا التالية، وحتى إصدار الخليفة عبد الملك بن مروان للطراز العربي الخاص(٢٠١).

وهناك دراسة أخرى لمسكوكة طراز العنزة والمحراب أثبت في إطار رؤيتها الجديدة أن نسبة هذا الطراز للخيفة عبد الملك بن مروان غير صحيحة، وأنه يمكن نسبته إلى عبد الله بن الزبير (٢٠٢).

ويمثل درهم العنزة والمحراب من الناحية الفنية أول تكوين فني رمزي في الآثار الإسلامية، يعكس المفاهيم والثقافة الرمزية السائدة في هذا العصر، والتي تمثلت في رموز العمامة التي تمثل تاج العرب، والسيف واللواء والعنزة والمحراب التي تمثل رموزًا عربية(٢٠٣).

انتهت دراسة النقوش على هذه العملة من ناحية الشكل إلى إمكان قراءة هذه النقوش، وبخاصة التي على ظهر هذ الطراز من الدراهم "طراز العنزة والمحراب" على وجهين من القراءة، الوجه الأول: "نصر الله أمير المؤمنين خليفة الله"، والوجه الثاني أو القراءة الثانية المحتملة: "نصر الله أمير المؤمنين حلقة الله"، ومضمون القراءة الأولى ينصب على الإشارة إلى السلطة ممثلة في أمير المؤمنين الخليفة، وما حباه الله من نصر، وهي بذلك تتضمن بعدين، البعد الأول يركز على اللقبين الخاصين بالسلطة، وهما إمارة المؤمنين، والخلافة، وهذا اللقبان يعكسان إلى حد بعيد الظروف السياسية والمناخ السائد الذي عاصر ضرب هذا الطراز من الدراهم، وبخاصة أن المسكوكات كانت من أهم وسائل الدعاية والإعلان، بالإضافة إلى كونها شارة من شارات الملك(٢٠٤).

ومن المهم في هذه الدراسة لمضمون هذه النقوش أن تبين مدى ارتباط نقش لقبي "أمير المؤمنين" و"خليفة الله" بعبد الله بن الزبير، الذي تشير القرائن السابقة إلى ترجيح نسبة هذا الطراز اليه وليس إلى عبد الملك بن مروان(٢٠٥).

وخاصة أن السكة كانت من أهم وسائل عبد الله بن الزبير للإعلان عن انتصاراته، ونجد ذلك في طراز درهم "العنزة والمحراب"، وفي نقش العبارة التي نقشت على ظهر الدرهم "نصر الله" على جانبي العنزة، وأمير المؤمنين على الجانب الأيسر للمحراب، وتشير هذه العبارات إلى نصر الله لأمير المؤمنين، الذي وصف في بقية النقوش بأنه "حلقت الله" (٢٠٦).

وعبارة "نصر الله أمير المؤمنين حلقت الله" تشيران إلى وصف أمير المؤمنين بأنه "حلقة الله"، ولفظ حلقة الله من المفردات المستخدمة في هذا العصر، والتي تعني "درع الله"، وقد وردت هذه الكلمة في سياق الروايات التي وثقت لتباري الأنصار لاستضافة رسول الله ((ص)) عند قدومه إلى يثرب مهاجرًا (٢٠٧).

وكلمة الحلقة إشارة إلى دلالة أن الكلمة مرتبطة بالمفهوم الشامل للسلاح، وتتوافق مع ورد من عناصر مصورة في الصورة التي نقشت على وجه هذا الطراز من الدراهم، والتي تتمثل في السيف والزرد الذي يحمي صدر الصورة، والاعتبار في لبس العمامة كما هو الحال يوم بدر، وهذا التوافق بما يكون من القرائن التي تسوغ قبول هذه القراءة للكلمة على أنها "حلقة الله"، أي درع الله (٢٠٨).

وهذه الكلمات لها دلالاتها؛ حيث تعني أن أمير المؤمنين هو دائمًا "حلقة الله"، المدافع عن دينه، والمجاهد في سبيله، وهذا يتضامن مع ما خاضه عبد الله بن الزبير من حروب مع أعدائه.

وهذا العرض يوضح أهمية المسكوكات في الدعاية السياسية لعبد الله بن الزبير ولحزبه ويبين مدى أحقيته في أنه الخليفة الشرعي للدولة من سنة ٦٤هـ حتى سنة ٧٣هـ، والتي تحققت بالمبايعة، وليست بالتوريث أو بقوة السيف.

وقد أدت المسكوكات دورًا بارزًا في تأييد الحزب الزبيري، وتحقيق أهدافه، وذلك عن طريق ما حملته من عبارات سياسية دعائية أثرت في نفوس كثيرين، وبخاصة الرافضين للأمويين، ونجاح الزب الزبيري في فترة وجيزة، وانتشاره في أقطار كثيرة من الدولة الإسلامية.

ورغم الدعائم والركائز التي استند عليها الحزب الزبيري من أساليب الدعاية السياسية المتنوعة التي ساعدته على النجاح، إلا أن الحزب الزبيري فشل في نهاية الأمر؛ لأن ثمة عوامل أدت إلى انهيار الحزب الزبيري.

ومن هذه العوامل أن الحزب الزبيري كان يدور حول شخص بعينه، وهو عبد الله بن الزبير، وليس لديه دعاة يحملون مبادئه وينشرونها. ومما يروى في بخله ما قاله في حقه أحد أتباعه وهو زفر بن الحارث: لو كان لعبدالله سخاء مصعب، وكان لمصعب عبادة عبد الله، لكانا كما شاء المتمني". إلى جانب سوء التعامل مع الثورات والنزاعات، وعدم استغلالها لصالحه، فقد أخفق في كسب الخوارج إلى جانبه حين حاوروه في مبادئه؛ مما جعلهم يشنون عليه حربًا شديدة في العراق أنهكته اقتصاديًا وعسكريًا. وعادى الشيعة وحاربهم أخوه مصعب في الكوفة؛ مما أعدى فرصة للأمويين لترتيب أمورهم بالشام، والتخطيط والتدبير له.

تمركزه في الحجاز، وعدم خروجه إلى الأمصار الموالية له لفض نزاع أو قيادة جيش، أو التواصل مع أوضاع هذه الولايات؛ مما أعطى فرصة أمام ولاته للاتصال بأعدائه واستمالة الأمويين لهم.

وهكذا انتهى الحزب الزبيري بموت عبد الله بن الزبير، ولم يدم هذا الحزب طويلاً، فقد امتد من عهد يزيد بن معاوية، وانتهى بموت عبد الله بن الزبير، وهي فترة لا تتجاوز عشر سنوات.

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة أن الدعاية السياسية ارتبطت بالنزاع السياسي حول السلطة، واشرف عليها ووجه أمورها الأحزاب السياسية بغرض الوصول للحكم، وتبلور الصراع السياسي بين الأحزاب حول ما سمي بمشكلة الخلافة أو الإمامة.

ويتضح لنا أن الحزب الزبيري نشأ بعد مقتل عثمان بن عفان، وقد ساعدت تطور الأحداث بعد موقعة الجمل على تطور شخصية مؤسس الحزب عبد الله بن الزبير السياسية، فأتاحت له الظروف التقدم نحو الخلافة.

فبعد مقتل الحسين بن علي على يد الأمويين، أعلن ابن الزبير رفضه بيعة يزيد بن معاوية، وأعلنها ثورة فعلية على الأمويين، فكان ظهور الحزب الزبيري رسميًا عام ٦١هـ.

ويتضح لنا أيضًا من خلال الدراسة أن انطلاقة الحزب الزبيري مبدعة، ونجاحه جاء مع دعوة عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة، واتخاذه الحجاز مركزًا لنشاطه السياسي؛ لأن أهل الحجاز يرون فيه المعارض الوحيد للحكم الأموي، فكانت حركته في الحقيقة هي حركة الحجاز التي تهدف إلى عودة الخلافة إليه، كما كان الحال في عهد أبي بكر وعمر وعثمان.

ومن الحقائق التي توصلت إليها الدراسة أن مقومات نجاح الحزب الزبيري كانت من خلال الدعاية السياسية، والتي اعتمدت على شخصية صاحب الحزب، عبد الله بن الزبير، من حيث بلاغته في الخطابة، إلى جانب الشعراء الذين واكبوا مسيرة الحزب الزبيري بالدعاية بشعرهم، فعبروا عن المبادئ السياسية لصاحب الحزب.

واستخدم عبد الله بن الزبير سيطرته على مكة وبيت الله الحرام، ومكانته الدينية، وما تعنيه هذه المكانة من رموز دينية في الدعاية لنفسه، وسمي نفسه "العائذ ببيت الله".

كذلك فإن اختيار عبد الله بن الزبير للمسكوكات في الدعاية السياسية، أدى دورًا بارزًا في تأييد ونجاح الحزب الزبيري وتحقيق أهدافه، وذلك عن طريق ما حملته من عبارات سياسية دعائية، أثرت في نفوس كثيرين، وخاصة الرافضين للأمويين، ونجاح الحزب الزبيري في فترة وجيزة وانتشاره في أقطار كثيرة من الدولة الإسلامية.

ورغم الدعائم والركائز التي استند عليها الحزب الزبيري من أساليب الدعاية السياسية المتنوعة التي ساعدته على النجاح، إلا أنه بسبب ما واجه الحزب الزبيري من قوة المعارضة المتعددة التي أنهكته واستنفدت طاقاته العسكرية والمادية، فقد سقط في نهاية الأمر.

فعمر الحزب الزبيري قصير جدًا، رغم نجاحه السريع، إذا ما قارناه بالحزب الشيعي وحزب الخوارج. فبموت عبد الله بن الزبير اختفى آخر أنصار الشورى، وأصبح الجو مهيأ لأنصار الوراثة، وانتهى الدور الأساسي في مشاركة الحجاز في الحياة السياسية في العالم الإسلامي.

ثبت بأهم المصادر والمراجع:

المصادر:

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي، ت: ٦٣٠هـ: ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الأزرقي (أحمد بن الأزرقي): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
- الأصفهاني (أبو فرج الأصفهاني): كتاب الأغاني، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.
- ابن أعثم الكوفي (أبو محمد أحمد، ت: ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م): كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، حققه: د. سهيل ذكار، د. رياض زركلي، دار الفكر، بيروت.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٢٨م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت: ٨١٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، ب.ت.
- ابن خياط (خليفة بن خياط العصفري، ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، حققه: د. سهيل ذكار، دار الفكر، ١٩٩٣م.
- الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، ت: ٢٨٢/ ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة الحلبي، ١٩٦٠م، ط١.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد، ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

- ابن سعد (محمد بن سعد بن منبع البصري، ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- السمهودي (نور الدين علي بن أحمد): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السيوطي (جلال الدين، ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥): تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، درا المعارف، ط. الخامسة.
- الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا، ت: ٧٩٠هـ/ ١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية، دار صار، بيروت.
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد، ت: ٣٤٩هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، حققه: أحمد أمين وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م .
- ابن عساكر (علي بن عبد الله الشافعي): تاريخ مدينة دمشق، ط. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر، ت: ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م): الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: ٣٧٦هـ/ ٨٨٩م): كتاب المعارف، القاهرة، ١٩٣٤م.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء، ت: ١٣٧٢/٧٧٤م): البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ٢٠٠٣م.
- الماوردي (علي بن حبيب البصري، ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.

- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م.
- المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة الترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
- المناوي (محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين، ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م): النقود والمكاييل والموازين، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، وزارة الإعلام، دار البشير للنشر، العراق، ١٩٨١م.
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله)، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب، ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ب.ت.

المراجع العربية:

- د. إبراهيم أبو الفار: علم الاجتماع السياسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
- إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، القاهرة، ب.ت.
- د. أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري، دار الفكر العربي، ب.ت.
- د. أحمد بدر: الرأي العام، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٢م.

- د. أحمد رمضان أحمد: الخلافة في الحضارة الإسلامية، دار البيان العربي، جدة، ١٩٨٣م.
- د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م، ط. السادسة.
- د. حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ـــــــــــــــ: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.
- الشيخ محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١م، ط٢.
- د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ـــــــــــــــ: الأعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١م.
- ـــــــــــــــ: الإعلام والدعاية، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨م.
- د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٨، ١٩٩٨م، ط٨.
- فخري الدباغ: غسيل الدماغ، دراسة نفسية اجتماعية لظاهرة التمذهب وتحويل الاتجاهات، المؤسسة اللبنانية للنشر، بيروت، ١٩٧٠م.
- د. محمد حلمي محمد: الخلافة والدولة في العصر الأموي، ١٩٧٤م، ط١، ب.ت.
- د. محمد عبد الستار عثمان: طراز دراهم المحراب والعنزة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط٢، ٢٠١٥م، ط٢.

- د. محمد عبد القادر أحمد: دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ناصر النقشبندي: الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد– العراق، ١٩٦٩م.

المراجع المعربة:

- هانس كلسن: الديمقراطية، طبيعتها وقيمها، ترجمة: علي الحمامصي، ١٩٥٣م.
- يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: د. حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م.

الدوريات:

- رودلف زلهايم: فتنة عبد الله بن الزبير، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٤٩، ج٢، ١٩٧٤م.
- عبد الإله عبد الرزاق: شعر الهجاء قبول أم رفض، مجلة المورد، م١، ١٩٧٢م.
- د. محمد عبد الستار عثمان: دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، بحث منشور في مجلة العصور، المجلد الرابع، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، يناير، ١٩٨٩م.

الرسائل:

- رياض عيسى: الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ١٩٩٠م.

المراجع الأجنبية:

- Miles (George C.): Mihrab and Anaza, A Study in Early Islamic Iconography in Archaeolgia Orientala in Memoria Enst Herzfeld (Lcust Valley NY: J.J. Augustin, 1952.
- Quaiter, Terence H, "Propaganda and Psychological warface". New York, Random House Inc., 1962.

حواشي البحث

(١) د. محمد عبد القادر أحمد: دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٣٥.

(٢) الماوردي (علي بن حبيب البصري، ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٥؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت: ٨١٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، ص ٢١١.

(٣) السيوطي (جلال الدين، ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥): تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٤) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٧٠.

(٥) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م، ج١، ص ٢٩٠.

(٦) عبد الله بن سبأ: هو حميري يهودي من أهل صنعاء، وأمه أَمة سوداء، ولذلك يقال له ابن السوداء. وكان ممن غلت قلوبهم ببغض الإسلام وأهله، وعجز عن محاربته علنًا، فلم يجد فرصة لحرب الإسلام إلا أن يعلن إسلامه، ويبطن الكفر والنفاق والحقد للإسلام.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء، ت: ١٣٧٢/٧٧٤م): البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ٢٠٠٣م، ج٧، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٧) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص ص ٢٩٠ : ٢٩٧.

(٨) ابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، ت: ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م): كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م، ط١، ج٢، ص ٤٣٥.

(٩) د. عبد اللطيف حمزة: الأعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٤٦.

(١٠) Quaiter, Terence H, "Propaganda and Psychological warface". New York, Random House Inc., 1962, p. 27.

(١١) فخري الدباغ: غسيل الدماغ، دراسة نفسية اجتماعية لظاهرة التمذهب وتحويل الاتجاهات، المؤسسة اللبنانية للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٠١.

(١٢) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٧٠.

(١٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٣٤.

(١٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢١١.

(١٥) لسان العرب: مادة حزب.

(١٦) هانس كلسن: الديمقراطية، طبيعتها وقيمها، ترجمة: علي الحمامصي، ١٩٥٣، ص ٣٧.

(١٧) د. أحمد بدر: الرأي العام، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٢٢٠، ٢٤١.

(١٨) د. إبراهيم أبو الفار: علم الاجتماع السياسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٦٥، ١٦٧.

(١٩) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٥.

(٢٠) ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد، ت: ٣٤٩هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، حققه: أحمد أمين وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ج١، ص ٢١٢.

(٢١) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت: ٣٧٦هـ/ ٨٨٩م): كتاب المعارف، القاهرة، ١٩٣٤م، ص ٩٦- ٩٩.

(٢٢) ابن عساكر (علي بن عبد الله الشافعي): تاريخ مدينة دمشق، ط. مجمع اللغة العربية، دمشق، ص ٣٩٨.

(٢٣) العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر، ت: ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م): الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج٢، ص ٣٠٩.

(٢٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢٥) العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص ٣١٠.

(٢٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٦٩.

(٢٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ص ٤٠٧.

(٢٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٨٢.

(٢٩) ابن عساكر: المصدر السابق، ص ٤١٨.

(٣٠) ابن عساكر: المصدر السابق، ص ٤٢٥.

(٣١) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي، ت: ٦٣٠هـ: ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٣، ص ٧٣.

(٣٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٩٠.

(٣٣) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص ٤٠١.

(٣٤) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، حققه: د. سهيل ذكار، د. رياض ذركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ج٦، ص ١٩١.

(٣٥) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، درا المعارف، ط ٥، ج٤، ص ٤٢٧- ٤٣١.

(٣٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٣٨.

(٣٧) الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، ت: ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، ط١، مكتبة الحلبي، ١٩٦٠م، ص ١٤٤.

(٣٨) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٥٠.

(٣٩) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد، ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٢، ص ١٩٣.

(٤٠) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٥٤.

(٤١) الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا، ت: ٧٩٠هـ/ ١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية، دار صار، بيروت، ص ٨٧.

(٤٢) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص ٥٠٢.

(٤٣) وادي السباع: موقع ما بين البصرة ومكة. ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله)، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٥، ص ٣٤٣.

(٤٤) ابن خياط (خليفة بن خياط العصفري، ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، حققه: د. سهيل ذكار، دار الفكر، ١٩٩٣م، ص ١٣٩.

(٤٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٣٣٧.

(٤٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٥٤.

(٤٧) الخوارج: هم تلك الفئة التي خرجت بين أنصار علي بن أبي طالب وهو عائد من صفين، حين خالفته في قبول التحكيم، فكان ذلك أول ظهور الخوارج. وسواد هذه الفئة من العرب البدو الذين نزحوا إلى الكوفة والبصرة بعد الفتوح الأولى، ولم يكن بين الخوارج الأوائل قراء. وكانت معارضتهم لعلي في بداية الأمر مقتصرة على الحرب الكلامية، وصاحوا صيحتهم المشهورة محتجين على التحكيم "لا حكم إلا الله". وكان هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وأنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر". ثم بايعوا زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي خليفة، فجهز لهم جيشًا سنة ٤٨هـ، وسار إليهم، وأوقع بهم في موقعة النهروان التي انتهت بمقتل الراسبي ومعظم أتباعه، ولم تحد هذه الموقعة من ثوراتهم، وانتشروا في مناطق أوسع، واعترضوا الناس، وزعزعوا الأمن والاستقرار في كثير من النواحي. وفنيت عصبيتهم القبلية في عقيدتهم المذهبية، وكل منهم يريد أن يموت شهيدًا في ساحة الجهاد الديني الذي وهبوا أنفسهم له. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٢٦ : ٢٣٦.

(٤٨) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٦٨.

(٤٩) رودلف زلهايم: فتنة عبد الله بن الزبير، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٤٩، ج٢، ١٩٧٤م، ص ٨٣٥.

(٥٠) يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: د. حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩م، ص ١٩٥.

(٥١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٦٧.

(٥٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٦٧.

(٥٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٣٧٢.

(٥٤) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٢٨م، ج٢، ص ١٠٩.

(٥٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص ١٠٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٣٧٣.

(٥٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٣٧٧.

(٥٧) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٣٤٣.

(٥٨) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٦٢.

(٥٩) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٣٤٣.

(٦٠) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٦٢.

(٦١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٩.

(٦٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٣٨٤.

(٦٣) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٠٠- ٥٣٢.

(٦٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٦٥) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٤٧.

(٦٦) ابن قتيبة: كتاب المعارف، ص ٩٦- ٩٩.

(*) الجامعة هي الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنقين.

(٦٧) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٧٦.

(٦٨) الأصفهاني (أبو فرج الأصفهاني): كتاب الأغاني، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ج١، ص ٢٣.

(٦٩) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٣٤٥.

(٧٠) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ص ٣٢٧، ٣٢٩.

(٧١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٢٩.

(٧٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٧٧.

(٧٣) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٥٠.

(٧٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٨٠.

(٧٥) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص ٤٨٠.

(٧٦) الأصفهاني: الأغاني، ج١، ص ص٢٥، ٢٦.

(٧٧) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٥٨.

(٧٨) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٥٩.

(٧٩) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٦٠.

(٨٠) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٦٠.

(٨١) ابن قتيبة: كتاب المعارف، ص ٢٠٥- ٢١٢؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٦٤- ٢٦٧.

(٨٢) د. أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري، دار الفكر العربي، ص ٤٤١.

(٨٣) المشلل: وهو جبل يهبط منه إلى قُديد من ناحية البحر. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ١٣٦.

(٨٤) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٦٦.

(٨٥) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٦٧.

(٨٦) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٦٧؛ أحمد إبراهيم الشريف، ص ٤٤١.

(٨٧) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٩٨.

(٨٨) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص ٥٩٩.

(٨٩) تاريخ ابن خياط، ص ١٩٥.

(٩٠) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٠٢.

(٩١) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص ٥٠٢.

(٩٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٤٨.

(٩٣) الدينوري: المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٩٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ١٩٢.

(٩٥) فتنة عبد الله بن الزبير، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٤٩، ج٢، ١٩٧٤م، ص ٨٤٦.

(٩٦) د.عبدالمنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٨، ١٩٩٨م، ص ٨٠.

(٩٧) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب، ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج٢، ص ٢٥٥.

(٩٨) تاريخ ابن خياط، ص ١٩٨.

(٩٩) ابن كثير: البداية ولنهاية، ج٨، ص ٢٠٣.

(١٠٠) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٥٥.

(١٠١) ابن كثير: البداية ولنهاية، ج٨، ص ٢٠٢، ٢٠٣؛ د. محمد حلمي محمد: الخلافة والدولة في العصر الأموي، ط١، ١٩٧٤م، ص ١٠٧.

(١٠٢) محمد حلمي: الخلافة والدولة، ص ١٠٧.

(١٠٣) تاريخ ابن خياط، ص ١٩٨.

(١٠٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٠٣.

(١٠٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص ٢٦٧.

(١٠٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(١٠٧) تاريخ ابن خياط، ص ٢٠٠.

(١٠٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٠؛ د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ط، ١٩٧٩م، ص ١١٥.

(١٠٩) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص ١٠٦.

(١١٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(١١١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٧.

(١١٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص ٥٦.

(١١٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص ١٥٤.

(١١٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص ١٥٦.

(١١٥) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١١٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٥؛ الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٣.

(١١٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٨٤.

(١١٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٤١٠.

(١١٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(١١٩) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ١٠٦.

(١٢٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٧.

(١٢١) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٥٩.

(١٢٢) المسعودي: مروج الذهب،ج٣، ص ١١٩.

(١٢٣) الطبري:تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٦٦.

(١٢٤) ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ص ٢٠٦.

(١٢٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٧٥؛ د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية، ص ١١٦.

(١٢٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١١٨؛ د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية، ص ١١٧.

(١٢٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٨٩.

(١٢٨) ابن كثير: المصدر السابق، ج٨، ص ٢٨٩.

(١٢٩) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٠؛ د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية، ص ١١٨.

(١٣٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص ١٦٥.

(١٣١) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٠، ١٢١.

(١٣٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣١٤.

(١٣٣) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٠.

(١٣٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٨٨، ١٨٩.

(١٣٥) الطبري: المصدر السابق، ج٦، ص ١٩١.

(١٣٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٢٦.

(١٣٧) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٢٢.

(١٣٨) الشيخ محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٩.

(١٣٩) الشيخ محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها، ص ٢٩.

(١٤٠) د. محمد عبد القادر أحمد، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، ص ٤٤، ٤٥.

(١٤١) الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٧٠.

(١٤٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥١.

(١٤٣) انظر الخطبة في: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

(١٤٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص ٣٤.

(١٤٥) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٤٧٤.

(١٤٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص ٣٤٣.

(١٤٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٤٦، ٥٤٧.

(١٤٨) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٥٤٧.

(١٤٩) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٦١.

(١٥٠) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥١.

(١٥١) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١١٩.

(١٥٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ١٠٩، ١١٠.

(١٥٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٩١.

(١٥٤) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية، ص ٧٨.

(١٥٥) محمد عبد القادر أحمد: دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، ص ٢٧٦.

(١٥٦) المرجع السابق، ص ٣٥.

(١٥٧) إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، القاهرة، ب.ت، ص ٤١٠.

(١٥٨) عبد الإله عبد الرزاق: شعر الهجاء قبول أم رفض، مجلة المورد، م١، ١٩٧٢م، ص ٣، ٤.

(١٥٩) الأصفهاني: الأغاني، ج٥، ص ٢٨.

(١٦٠) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن ربيعة، لقب عبيد الله بن قيس الرقيات؛ لأنه تزوج بثلاث نسوة سُمين جميعًا رقية. الأصفهاني: الأغاني، ج٥، ص ٧٣.

(١٦١) شعر عبيد الله بن قيس الرقيات: قصيدة ١٢، الأبيات ٧- ١٠.

(١٦٢) عبيد الله بن قيس الرقيات، قصيدة ١٣.

(١٦٣) أبو حيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة، ج٣، ص ١٧٠.

(١٦٤) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، قصيدة رقم (١١).

(١٦٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٤٠٦.

(١٦٦) الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ٧٩.

(١٦٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ٩٦.

(١٦٨) شعر يزيد بن أبي عبيد السلمي السعدي، قصيدة (٢).

(١٦٩) شعر عمرو بن هند النهدي، قصيدة (١).

(١٧٠) شعر خلفاء بني أمية، ص ٢٠٦.

(١٧١) نفسه، ونفس الصفحة.

(١٧٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٣٦٣.

(١٧٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٠٢.

(١٧٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٠٣.

(١٧٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٢٤.

(١٧٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٧، ص ١٢٦.

(١٧٧) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج١، ص ٤٢٦.

(١٧٨) رودلف: فتنة عبد الله بن الزبير، ص ٨٣٥.

(١٧٩) المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ٨٤.

(١٨٠) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٩.

(١٨١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٣٢.

(١٨٢) رياض عيسى: الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ١٩٩٠م، ص ١٩١.

(١٨٣) أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ص ٨٩.

(١٨٤) ابن سعد (محمد بن سعد بن منبع البصري، ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، ج٥، ص ١٦٠.

(١٨٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٧٠.

(١٨٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص ٥٩٨.

(١٨٧) الطبري: المصدر السابق، ج٥، ص ٥٩٩.

(١٨٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ١٨١.

(١٨٩) د. حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٠م، ط٤، ص ٢٤٥.

(١٩٠) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٦؛ الأزرقي (أحمد بن الأزرقي): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢٠٤.

(١٩١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٦١.

(١٩٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٨٠.

(١٩٣) د. أحمد رمضان أحمد: الخلافة في الحضارة الإسلامية، دار البيان العربي، جدة، ١٩٨٣م، ص ٢٦٣.

(١٩٤) المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة الترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م، ص ٥٣٠؛ المناوي (محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين، ت: ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م): النقود والمكاييل والموازين، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، وزارة الإعلام، دار البشير للنشر، العراق، ١٩٨١م، ص ٧٢، ٧٣.

(١٩٥) ناصر النقشبندي: الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد- العراق، ١٩٦٩م، ص ٦٢.

(١٩٦) النقشبندي: الدرهم الإسلامي، ص ١١٢.

(١٩٧) د. محمد عبد الستار عثمان: دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، بحث منشور في مجلة العصور، المجلد الرابع، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، يناير، ١٩٨٩م، ص ٣٣، ١١٤.

(١٩٨) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٥٤.

(١٩٩) Miles (George C.): Mihrab and Anaza, A Study in Early Islamic Iconography in Archaeolgia Orientala in Memoria Enst Herzfeld (Lcust Valley NY: J.J. Augustin, 1952.

(٢٠٠) د محمد عبد الستار عثمان: طراز دراهم المحراب والعنزة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط٢، ٢٠١٥م، ص ٧.

(٢٠١) د. محمد عبد الستار: طراز دراهم المحراب والعنزة، ص ٧.

(٢٠٢) د. محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص ٧ وما بعدها.

(٢٠٣) د. محمد عبد الستار: نفس المرجع، ص ١٢٧.

(٢٠٤) د. محمد عبد الستار: طراز درهم المحراب والعنزة، ص ١٢٨.

(٢٠٥) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢٠٦) د. محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٢٠٧) السمهودي (نور الدين علي بن أحمد): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص ٢٥٧؛ د. محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٢٠٨) د. محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص ١٥١، ١٥٢.